الدروس المستفادة من الحروب العربية الاسرائيلية

١٩٤٧ - ١٩٨٦

اللواء الركن المتقاعد
يوسف كعوش



الدروس المستفـــــــــادة

مــن

الحروب العربية الاسرائيلية

١٩٤٧م - ١٩٨٦م

تاليــف

اللواء الركن المتقاعد

يــوسف كعــوش

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

٠٢٨ر٣٥٥
يوس يوسف كعوش
الدروس المستفادة من الحروب العربية ـ الاسرائيلية
١٩٤٧ ـ ١٩٨٦ / يوسف كعوش ـ عمان : المؤلف ،
١٩٨٧ ٠
(٨٨) ص ٠
ر٠أ (٣٢/١/١٩٨٧) ٠
١ ـ الحرب ٠ أ ـ العنوان ٠
تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ تلفون ٦٣٧٧٧١ ـ ص.ب ٨٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

« مـن المؤمنين رجـال" صدقـوا مـا عاهدُوا الله عليه فمنهـُم من قضى نحبَهُ ومنهـُم من ينتظر ، وما بدّلوا تبديلا » ٠

صدق الله العظيم

الى هؤلاء ٠٠٠ أهدي هذا الكتاب ٠

المؤلف



ابحاث الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

ليس القصد من هذا الكتاب عرض تفاصيل واحداث الحروب التي وقعت بين العرب واسرائيل ، فقد ظهر الكثير من الكتب والدراسات والمذكرات باللغة العربية واللغات الاجنبية غطت جميع وقائعها وتفاصيلها ٠

شهدت بعض هذه الحروب ، وعايشت بعضها الآخر ، وبحثت وكتبت عنها كتباً ، ودراسات لبعض المجلات العسكرية العربية خلال ربع القرن الماضي ، وقد رأيت هنا التركيز على الدروس المستفادة من هذه الحروب للفائدة والعبرة ، واخراجها في هذا الكتاب ، وقدمت عن كل حرب موجزاً للشكل العام الذي اتخذته ، ثم خصصت القسم الاكبر للدروس المستفادة ، لتكون خلاصة بين أيدي العسكريين والسياسيين وجميع المواطنين ٠

ان جميع الظواهر الانسانية مركبة من الفكر والمادة والأهواء والحساب ، وعند ما نريد بحثها وتقييمها بهدوء وبصورة عقلانية فينبغي ان لا ننسى لحظة واحدة العنصر اللاعقلاني ، وهو سيء أحيانا وجيد احيانا أخرى ، ويجب ان لا نعطي هذا العامل الأولوية على العقل ابداً ، فبعد أن تعرضنا لسلسلة من الهزائم السابقة تخللها بعض الانتصارات المحلية ، فان الواجب يقتضي ان ننقب ونبحث بعمق لكي نتوصل الى اكتشاف الدوافع العميقة لمصير كان مخالفا لجميع أمانينا وقدراتنا ، وقد كانت وراء جميع الهزائم أسباب من كل الانواع ، وهي خارجة عن مجال البلد العربي الواحد ، ويستطيع الفكر العربي تحديد هذه الأسباب بدقة ، ووصف العلاج لازالتها على صعيد البلد العربي ، وعلى نطاق أي عدد من البلاد العربية تدرك الاخطار المحدقة بأمتنا وتمد يدها لاصلاح الخلل وبناء القوة ٠

ويعجب المرء كيف لا تتطور مفاهيم الدفاع للأمة العربية عن ذاتها ، ووسائل هذا الدفاع حتى بأقل نسبة من تطور مفاهيم ووسائل الهجوم عليها مجزأة وموحدة ، وتتصاعد التهديدات وتتنوع ، ويضع اطراف العداء الخطط للنيل من العرب وتدميرهم والقضاء على نهضتهم ، وعلى أقل شروط تضمن توحدهم وقوتهم ٠ ومع كل ذلك يبدو

منظر العالم العربي وهو يتلقى ضربات اعدائه وكأنه منسلخ عن وعيه وجسده يئن دون أن يسمعه أحد ، أو دون أن يسمع نفسه ، يعرف أعداءه جميعاً ، ولكنه يسلك تجاههم ويتعامل معهم وكأنهم الاصدقاء ، وهكذا يمضي هؤلاء غلوا في التآمر لأنهم لا يتوقعون الرد والعقاب •

فاذا أردنا ان ننطلق انطلاقة جديدة على أرضية سليمة ، فيجب علينا استيعاب وفهم المتغيرات التي تجري على صعيد العالم من حولنا ، والعمل على وضع القدرات العربية ضمن تشخيص موضوعي للموقف المحلي والخارجي وعواملهما المؤثرة علينا سلباً أو ايجاباً ، وان نعرف ونحدد الأعمال الفعالة الممكنة التي تؤدي الى تحقيق الهدف الذي اخترناه لانفسنا ، وعندما نستعيد هذه الفاعلية ، يكون من حقنا ان تستثير الحماس وان نقبل التضحيات التي قدمناها حتى يومنا هذا بكرم وسخاء ، ويجب ان يجد شعور الدفاع الجماعي عن البقاء معناه ، وتضع الأمة العربية قواعد أمن وحماية أجيالها الحالية والقادمة ، سواء أكان العدو الصهيوني أو من هو أكبر منه •

وتتعلم الأمم من اخطائها ، لتنتقل الى المواقف الأحسن وتستعيد مكانتها في عالم لامكان فيه للضعيف • والله من وراء القصد •

المؤلف

اللواء الركن المتقاعد

يوسف كعوش



الفصل الأول

طبيعة الحرب

يرى بعض المؤرخين أن الحرب هي وليدة المدنية ، بينما يقول آخرون انها من صلب الطبيعة الخام للانسان ، ولكن هنالك شيء واضح ، هو ان الحرب كانت دائما القول الفصل عندما تفشل الأساليب الأخرى للوصول الى اتفاق ، والحكم الذي يعطى يكون مبنيا على القوة اكثر من الحق ولو أن الحق هو الذي يسود في بعض الأوقات .. وقد تأثر تقدم الانسان في جميع الميادين للجيد والسيء بصورة اساسية بوطأة النزاع المسلح ، الذي لا بد وأن يترك بصمات اصابعه كعامل يقرر عملية التغيير التاريخي ، ومثال على ذلك هو : ان بداية الصناعات المعدنية على نطاق واسع كانت الى حد ما نتيجة للطلب على المدافع .

والحرب ليست هم العسكريين فقط ، لقد تأثرت بها الحياة المدنية دائما خلال عصور التاريخ ، وأصبح التوجيه الأعلى للحرب في العصر الحديث مسئولية السياسيين الذين هم بدورهم من المدنيين ، وليسوا جنوداً محترفين ، وعلاوة على ذلك فان الحرب الشاملة تستوعب الطاقات الصناعية والمدنية في مجهودها ، ولهذا السبب فان التاريخ العسكري لا ينفصل عن الخلفية التاريخية العامة ، ولذلك فان فن الحرب يستحق ان يدرس من كل شخص من المدنيين ومنتسبي القوات المقاتلة(١) .

وعلى امتداد التاريخ كانت هناك عوامل ثابتة في الحرب ، فمنذ الأيام الأولى كانت معاضل التنقل وقوة النار ، كيف تكون قادراً على تحريك قواتك وتمنع العدو من التحرك ؟ وان احتياجات قابلية الحركة وقوة النار والأمن كانت دائما تتعارض الى حد معين ، وقد اختلفت أسباب وأنواع الحروب في اجزاء مختلفة من العالم ، مع القبائل الرحل أو المجتمعات المستقرة المنظمة ، وتميزت الحروب في تاريخ البشرية بالتتابع ، وقد قسم الباحثون تاريخ الحرب الى أربع فترات غير متساوية :

أ ــ حروب الحيوان .

ب ــ حروب الانسان البدائي .

جـ ــ حروب الانسان المتمدن .

د ــ حروب الانسان الحديث .

ونظرية التقسيم هذه لم يقرها علماء التاريخ فحسب ، بل يسندها علماء الانثروبولوجي • « علم قياس الاجناس » وقد ظهرت الحرب في المحيط الحيواني قبل ظهور البشر بملايين السنين ، ثم أخذت دورها في المحيط البشري منذ ظهر الانسان على سطح هذا الكوكب ، فالحرب اذن موجودة منذ الازمان السحيقة ، سواء بين الأفراد والجماعات والقبائل ، أو بين الممالك والامبراطوريات ••• فقد قامت الحروب بصورة مستمرة في ممالك وامبراطوريات العالم القديم(٢) • مثل المصريين والهكسوس والحثيين والآشوريين والفرس والاغريق ، ثم الصراع لاجيال متتالية بين روما وقرطاجنة ، وبعد ذلك حروب الفتح الاسلامي ، ثم الحروب الدينية في القرون الوسطى ، وحروب العصر الحديث •

وقد قسم المؤرخون الأعمال الحربية في العصر الحديث الذي يبدأ منذ القرن السادس عشر الى ثلاثة فصول رئيسية تتميز عن بعضها باختلاف هدف كل منها :

١ ـ الفصل الأول : حروب دينية بدأت في القرن السادس عشر وتوقفت في القرن السابع عشر •

٢ ـ الفصل الثاني : حروب الملوك ، وقد بدأت في أوروبا بعد انتهاء حرب الثلاثين عاما عام ١٦٤٨ ، وبدأت في انكلترا بعد عودة الملكية اليها عام ١٦٦٠ ، وتعتبر نهاية هذه الفترة مع بدء الحروب النابليونية عام ١٧٩٢م •

٣ ـ الفصل الثالث : ويشمل الحروب القومية والدولية التي بدأت في القرن الثامن عشر واستمرت الى وقتنا هذا •

وبناء على هذا فان الحرب عنصر من عناصر الوجود ، وظاهرة من الظواهر التي تتغلغل في الطبيعة نفسها ، وتكمن في الخلايا العضوية للكائنات الحية ••• وقد قال فون مونتكه ـ ذلك المحارب والقائد البروسي « ما السلام الدائم الا حلم ـ وحتى ليس حلما جميلا ـ وما الحرب الا جزء جوهري في تنظيم الله للكون ، ففي الحرب تسنح الفرصة لأنبل فضائل الانسان ان تلعب دورها ، الشجاعة ـ والاباء ـ والاخلاص ـ والواجب ، والاستعداد للتضحية بدوره لا يقل عن التضحية بالحياة نفسها ، ولولا الحرب لغمرت المادية العالم »(٣) •

ويمكن في هذه المرحلة استعمال بعض التعاريف :

١ ـ الحرب : هي أي نزاع مطول بقوة السلاح بين مجموعات سياسية متنافسة ، وتشمل التمرد والحرب الأهلية ـ ولا تشمل الشغب وأعمال العنف الفردية(٤) •

٢ ـ التعريف القانوني : حدد القانون الدولي الحرب وميزها عن حالتي السلم والحياد وعرفها : « بأنها الحالة القانونية التي تتولد عن نشوب كفاح مسلح بين القوات المسلحة لدولتين أو اكثر مع توفر نية انهاء العلاقات السلمية بين احدى هذه الدول أو لديها جميعا »(٥) ٠

٣ ـ الاستراتيجية العظمى : هي فن تنسيق وتوجيه جميع موارد الأمة أو مجموعة أمم تجاه الحصول على الهدف السياسي من الحرب ـ الهدف المحدد من قبل السياسة الاساسية ٠ وفي تعريف حديث آخر : هي فن تطوير واستخدام قوى الأمم المتحالفة لخلق واستغلال موقف ملائم تكون فيه احتمالات النجاح اكثر توقعا لتحقيق هدف الحلفاء ٠

٤ ـ الاستراتيجية القومية : هي فن تطوير واستخدام عناصر القوة القومية كاملة من سياسية واقتصادية ونفسية وعسكرية لخلق واستثمار موقف ملائم تكون فيه احتمالات النجاح اكثر توقعا لتحقيق الهدف القومي ٠

٥ ـ الاستراتيجية : وهذه تعاريف أخرى عن الاستراتيجية بشكل عام :

أ ـ هي فن توزيع وتطبيق الوسائل العسكرية كالقوات المسلحة والموارد لتحقيق غايات السياسة ٠

ب ـ هي فن تطوير واستخدام القوة لخلق واستغلال موقف ملائم تكون فيه احتمالات النجاح اكثر توقعا ، لتحقيق الهدف القومي ، أو هدف الحرب ، أو هدف الحملة أو خوض معركة حاسمة لنا ولحلفائنا ٠

جـ ـ هي فن السيطرة على كل موارد الأمة واتحاد الأمم بما فيها اقوات المسلحة ، ثم استخدام هذا كله الى غاية ما يمكن وفي اكمل صور الاستخدام ٠

د ـ هي فن القيادة العسكرية والتخطيط للحرب ، وتوجيه الحملات الحربية والمعارك(٦) ٠

٦ ـ التعبية : تعني التنظيم للقوات العسكرية والسيطرة عليها وفنون القتال الفعلي، وباختصار فان الاستراتيجية هي فن توجيه الحرب ، والتعبية هي فن القتال ٠

والخلفية الاستراتيجية للحملة أو المعركة لها أهمية عظمى ، ماذا كان القصد ؟ وعلى ماذا كان القائد يريد الحصول ؟ وقد يكون الهدف مرغوبا فيه من الناحية الاستراتيجية ، ولكن مثل هذا الهدف يجب ان يكون ممكنا من الناحية التعبوية بالقوات والوسائل المتيسرة ٠

وفي هذا البحث ، ننظر الى الحرب في صورة عمليات عدائية نشطة بين دولتين ، دون النظر الى الحرب النفسية ، ولا الى الحرب الاقتصادية ، ولا الى الحرب السياسية في الطابع الذي نسميه بعنوان حرب الاعصاب ··· وتنقسم الحرب حسب طبيعتها الى قسمين رئيسيين هما :

أ ـ التوجيه والسيطرة · ب ـ التنفيـــذ ·

وتنقسم ادارة الحرب الى أربع مراحل هي : التنظيم ، التخطيط ، التحركات ، التدمير · وتأخذ التدابير لهذه المراحل الشكل التالي[٧] :

أ ـ تعبيء الدولة كل مواردها البشرية والمادية والمعنوية وترسم لها سياسة خاصة بالحرب ··· والى هذا الحد يمكن أن نطلق على هذه التدابير اسم (التنظيم) ·

ب ـ يتبع ذلك مرحلة التخطيط لاستخدام هذه الموارد التي عبأتها الدولة على أحسن صورة ، وحينئذ تنجز المرحلة الثانية (التخطيط) ·

جـ ـ تبدأ عملية تنفيذ هذا التخطيط ليبدأ الاشتباك بقوات العدو المسلحة ، وتكون هذه هي المرحلة الثالثة (التحركات) ·

د ـ يأخذ القتال الفعلي مجراه في شتى الساحات والميادين بمختلف الوسائل المتيسرة، والتي تؤدي الى تدمير أحد الجيشين المقاتلين ماديا أو معنويا ، وهذه المرحلة الرابعة (التدمير) ·

ومن الضروري في المرحلة الرابعة تدمير القوى المعنوية للأمة المحاربة التي تقف وراء الجيش في الحرب الحديثة أو الحرب الأممية الشاملة ، وقد يخسر الجيش المعركة وهو لا يزال يقاتل في أرض العدو لأن بناء الأمة قد انهار ، وليس من الضروري استمرار الترتيب الآنف الذكر بالتسلسل ، حيث تحدث بعد المرحلة الأولى للتدمير أن تتبعها مرحلة ثانية للتحركات ، ومرحلة أخرى للتخطيط ، ثم يعود وتبدأ مرحلة جديدة للتحركات ، وهكذا حتى تتم عملية التدمير في صورة ما ، وبعد ذلك تبدأ مفاوضات الهدنة والصلح ·

وتغطي الاستراتيجية المراحل الثلاث الأولى وهي : التنظيم والتخطيط والتحركات ، بينما تسيطر التعبية على المرحلة الرابعة ـ مرحلة التدمير ـ وهذا لا يعتبر قاعدة ثابتة على الدوام ، حيث تؤثر الاستراتيجية على المرحلة الرابعة في بعض الاحوال ، وتدخل التعبية في مرحلة التحركات وهكذا تؤثر كل من الاستراتيجية والتعبية في بعضهما ·

مبادىء الحـــرب

وُلدت مبادىء الحرب على مر القرون ، واشتقت أصولها من كلا النجاح والفشل من تاريخ الانسان الطويل مع الحرب ، انها تعكس الحقائق ، وتقدم العظة بأن عليك ان تعرف ماذا يجب عمله وان لا تتجاوز قدراتك • لذلك على المرء ان يعرف تلك الحقائق الرئيسية التي يتعلمها معظم القادة العسكريين لكي يفهم كيفية عمل العقل العسكري[٨] •

ان فهم مبادىء الحرب مسألة جوهرية لفهم ودراسة التاريخ العسكري ، ويستطيع أي قارىء لهذا التاريخ استيعاب تسلسل الحوادث التي أدت الى نصر معين أو هزيمة ما ، وعلى الضابط المحترف أو المؤرخ العسكري ان يقدر ويحلل الحوادث اذا كان يريد الاستفادة من التجربة العسكرية الماضية ، وهذا التقدير والتحليل يجب ان يتم ضمن الاطار العام لمبادىء الحرب ، لانها تعمل بانتظام في الحروب وتحدد أسباب النجاح أو الفشل في العمليات العسكرية • ولو لم يكن هناك قادة لانتقاد أعمالهم لافلس المؤرخون والمحللون العسكريون وبارت تجارتهم[٩] •

ترجع مبادىء الحرب في تاريخها الى ما قبل السيد المسيح ، ويعرف التاريخ الحديث مبادىء كانت لبعض القادة في القرن السادس قبل الميلاد ، فقد سجل القائد الصيني (صن تزو) سبعة مبادىء عام ٥٠٥ قبل الميلاد ، وان التطور الهائل الذي طرأ على أسلحة الحرب منذ عرف الانسان الادوات المعدنية للقتال ، لم يلغ مبادىء الحرب أو يغير من جوهرها ، وربما زاد عليها أو وحد بعضها في مبدأ واحد ، ولكن تطور الاسلحة وأدوات الحرب أحدث تغييرا في وسائل وأساليب تطبيق هذه المبادىء •

أن بيان أسباب النجاح أو الفشل في العمليات العسكرية ، وتحديد الظروف والعوامل التي أثرت على كل موقف ، واضطرت القائد الى اتخاذ هذا القرار أو ذاك ، تجعل الوصول الى الدروس المستفادة والعبر الحقيقية أمرا ميسورا ومنطقيا ، وينبغي على كل أمة تخوض الصراع ان تقوم بالدراسة والتبصر بهذه النتائج ليجري تطبيق الجيد منها وتجنب الاخطاء التي وقعت في الماضي أو تقليلها الى الحد الأدنى • وليست العبرة في تسجيل الدروس المستفادة ، الجيد منها والرديء في قائمة ، بل العبرة هي في تطبيق الجيد منها ونبذ الرديء والانطلاق نحـو المستقبل بمفاهيـم جديدة تلائم المواقف القادمة والمستجدة في تطور أشكال الصراع ، وتطور التسليح والعـلاقات الدولية في الساحة العالمية ، لأن المعركة المسلحة لا تخرج عن كونها جزءاً من مباراة كبرى تحتاج الى معارك دعائية واقتصادية ودبلوماسية وسياسية كثيفة ، لتصبح مباراة كاملة •

ومنذ حرب السويس عام ١٩٥٦ ظهر على الساحة الدولية بشكل بارز ما يسمى « الموقف الاستراتيجي » ويشمل دراسة وتحليلا للموقف العالمي ، وتحديد موقف كل دولة مؤيدة أو معادية في حالة وقوع الصراع ، ومدى فعالية هذا التأييد أو العداء على مجريانه ، وهذا بدوره يقود الى استنتاج منطقي : « **ان تحديد بدء حرب ما يضطر اليها بلد ما ، يجب أن يراعي اقتناص أحسن الفرص ملائمة في الموقف الدولي ، وبذلك يتهيأ الجو الاستراتيجي الملائم ، ويكون أحد العوامل الرئيسية في كسب الحرب** » •

قال ماوتسي تونغ[١٠] : « ان جميع القوانين والنظريات العسكرية والتي هي في طبيعة المبادىء عبارة عن تجارب عن الحروب السابقة ، موجزة من قبل اشخاص في التاريخ أو في وقتنا الحاضر ، ويجب ان ندرس هذه الدروس التي دفع ثمنها بالدم ، والتي هي التراث الذي ورثناه من الحروب السابقة ، هذه نقطة واحدة ، ولكن هناك نقطة أخرى ، اذ يجب علينا ان نطبق هذه الاستنتاجات في خبرة تجاربنا الحاضرة ، ان نقبل المفيد منها ، وان نرفض غير المفيد ، ثم نضيف ما نعرفه نحن اليها ، والنقطة الثانية مهمة جداً ، اذ بدونها لا نستطيع ادارة الحرب ، القراءة هي التعلم ، ولكن تطبيق ما نتعلمه هو أيضا علم ، وهو العلم الأكثر أهمية » •

ومجمل القول ، ان النجاح الذي يسجله أي طرف يعتمد على الاخطاء التي يرتكبها الطرف المقابل سواء على صعيد الاستراتيجية أو التعبية • وترتكز عناصر لاساليب التعبوية في المعركة على تحقيق العوامل التالية[١١] :

- المفاجأة •
- البساطة •
- تركيز الجهد •
- سرعة الاجراء •
- تعاون جميع الاسلحة •
- المبادأة •
- السيطرة •

تختلف مبادىء الحرب بين أمة وأخرى ، وأقدم للقارىء وصفا موجزاً عن المبادىء الأكثر شيوعا :

أ ـ انتخاب الهدف وادامته

وهذا يعني انتخاب الهدف وتحديده ومن ثم التمسك به ، وغالبا ما يعمل القائد في الحرب ولا يتيسر لديه سوى معلومات قليلة عما يجري ، ومع تطور الموقف يوجد اغراء لتغيير الأهداف ، وهذا بدوره مضيعة للوقت والطاقة • ويظهر لنا التاريخ

بوضوح ان الجيش الذي يتمسك بمتابعة الهدف الاساسي بصورة دائمة هو الأكثر قابلية للحصول على النجاح • ويجب ان تكون أية عمليات أو أهداف مرحلية تعمل ضمن الاطار الذي يؤدي الى تحقيق الهدف الأساسي •

ب ـ التعـــرض

لا تكتسب الحروب الا بالعمليات التعرضية، وهي التصميم على انتهاز أية فرصة لتدمير العدو ، بتحريك القطعات الى داخل المناطق التي يحتلها ومهاجمته ، ومن ثم استغلال نجاح تلك العمليات باستمرار ، وبالتعرض يتم الحصول على المبادأة وبذلك يتيسر للقائد حرية العمل ، اذ يحدد مدى المعركة وكيفية خوضها باستغلال نقاط الضعف في عدوه ، ومواجهة الأمور غير المتوقعة ، فيفرض ارادته على العدو • وعلى أي قائد ان يتمسك بالمبادأة دوماً ، وان لا يسمح لخصمه بالحصول عليها ، وسيحاول الخصم جهده استعادة المبادأة ، فاذا حدث ذلك يجب على القائد ان يعمل بسرعة وكل ما في وسعه للمحافظة عليها ، فيبقى العدو يرقص على اللحن الذي يعزفه القائد المتمسك بالمبادأة • ويجب ان يستمر التعرض حتى يتحقق الهدف الذي شنت الحرب من أجله •

جـ ـ حشد القوة

يعني هذا المبدأ ضرورة حشد القطعات والوسائل المادية الأخرى اللازمة والتي بدونها لا تتمكن القطعات من القتال . ويشمل التأليف الصحيح بين القطعات والوسائل المتيسرة • وقد عبَّر (جو ميني)[١٢] عن هذا المبدأ بقوله : « قاتل باكبر حشد من القوات في النقطة الحاسمة » ، ولتطبيق هذا المبدأ يجب الحصول على التفوق في حشد القوة المقاتلة في النوع والكمية في الوقت الصحيح والمكان الحاسم من مسرح الحرب ، وليس معنى التفوق بالحشد ان تكون الأمة المحاربة أكثر عدداً من الأخرى المعادية ، ولا أن يكون جيشها اكبر ، بل يتم التفوق بالقوة الضاربة ذات المستوى الرفيع في التدريب والتسليح والقيادة الجيدة •

د ـ الاقتصاد في القوة

ان هذا يتطلب استعمال القوة الكافية في الأوقات والاماكن الأخرى لتسمح بعملية الحشد في النقطة المقررة ، وعادة لا تتوفر القوات الكافية لانجاز كل شيء ، ويفرض مبدأ الاقتصاد في القوة تخصيص القوات بعناية لكل مرحلة من العملية ، والاكثر أهمية هو الاحتفاظ باحتياطي كبير اذ لا شيء غيره بعدما تدخل جميع القوات أتون

المعركة ، وحينئذ تكون لك السيطرة على الاحتياطي الذي ينتزع البقاء من فكي الكارثة • يجب الاحتفاظ بقوة احتياطية مهما كانت ظروف الموقف سيئة في الجبهة ، وعندما تحين الفرصة التي تضطر القائد لزج الاحتياط في المعركة عليه خلق احتياطي جديد فـــوراً •

يرتبط هذا المبدأ ارتباطا وثيقا بالمبدأ الذي سبقه (حشد القوة) وتطبيقهما معا يتطلب تقديرا صحيحا لما يمكن ان يكفي من القوة في الوقت والمكان الحاسمين ، وكلمة (يكفي) هي مفتاح السر ، وتعني استعمال القوة الكافية لتنفيذ القصد وليس استعمال أقل ما يمكن •

هـ ـ المفاجـــأة

المفاجأة من أشد العوامل تأثيرا في الحروب ، وهي عبارة عن خلق موقف أو استخدام سلاح جديد أو ابداع طريقة جديدة فعالة لسلاح ما ، وضرب العدو في الوقت والمكان حيث لا يتوقع • ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور ان المفاجأة هي أهم مبادىء فن الحرب ، وأشدها خطراً واكثرها تحقيقا للنصر في أي عمل عسكري كبيرا كان أم صغيرا • والمفاجأة الناجحة تعني اكثر من مفاجأة العدو بعمل فريد أو غير متوقع ، أو باستعمال نوع جديد من المعدات ، فهي تمكّن أية قوة من محاربة العدو في ظروف ليست في صالحه •

قد تكون المفاجأة استراتيجية أو تعبوية وكلاهما قد تشمل واحدا أو اكثر من الانواع التالية :

أ ـ المفاجأة في التنظيم •
ب ـ المفاجأة في التسليح •
جـ ـ المفاجأة في حجم القوة •
د ـ المفاجأة في مكان وتوقيت الهجوم •

و ـ وحدة القيادة

هي تأسيس سلطة منفردة لتوحيد الجهد وتعاون جميع العناصر المشتركة في الحرب تحت سيطرة رجل واحد لانجاز المهمة الموكولة بعمل منسق لجميع الامكانات •

وتتطلب وحدة القيادة تسليم المسؤولية لقائد قدير تكون له السيطرة المطلقة على الجيوش التي يقودها ، وان يمنح السلطة لاتخاذ ما يراه ضروريا لتحقيق النصر ، وعليه ان يؤمن التنسيق بين مختلف العناصر ، وأن لا يعيقه عن ذلك نزاع قد يحدث

بينه وبين اقرانه ، أو تدخل تفرضه عليه السلطات العليا التي لا تستطيع فهم وتحسس ما يواجه من مشاكل ، ويجب ان يمنح مقابل كل مسؤولية توضع على عاتقه سلطة جديدة ، فيكون هو المسؤول الأوحد عن انجاز ما هو مطلوب ، والحصول على النتيجة الحاسمة ٠

ز ـ الأمـــن

من الضروري بذل أكبر جهد للحصول على أكبر قدر من المعلـومات عن العـدو وخططه ، وبنفس الوقت اتخاذ كافة التدابير لمنع المعلومات عنا وعن خططنا من التسرب اليه ٠ وذات مرة قال الجنرال (ولنغتون) الذي قاد القوات المتحالفة ضد نابليون في معركة واترلو : « لقد قضيت كل حياتي محاولا ان اتنبأ بما يوجد في الجانب الآخر من الجبل » وهذا القول يحدد بدقة المهمة الاساسية للقادة العظام ولرجال الدولة وهي : التنبوء بما يجرى خلف الجبهة وفي معسكر العدو ، وفي ذهن قادة الخصم، فالخيال له نفس الأهمية التي للمعلومات ، وخاصة عندما تكون غـير أمينة ولا موثوقة ٠

وهناك أيضا مبادىء المرونة ، والادارة ، والتعاون ، وادامة المعنويات ٠

الهـــوامش

١ ـ A History of Warfare. Feild Marshal Viscount Montgomery of Alamein 1968, page 13.

٢ ـ الحرب والسلام ، عميد أ٠ ح٠ محمد سعد الدين زكي ، ١٩٦٥ ، ص ١٢ ـ ١٣ ٠

٣ ـ نفس المصدر السابق ، صفحة ١٦ ٠

٤ ـ A History of Warfare, Montgomery, 1968,page 14.

٥ ـ الحرب والسلام ، محمد سعد الدين زكي ، صفحة ١٩ ٠

٦ ـ جميع التعاريف الواردة هنا عن الاستراتيجية هي خلاصة آراء : الماريشال مونتغمري ، والكابتن ليدل هارت ، وكليـــة الحرب في تايوان ، والجنـــرال اندريه بوفير ٠

٧ ـ لمزيد من التفاصيل راجع كتاب « الحرب بين الماضي والحاضر » ، اميرالاى اركان حرب محمد عبد الفتاح ابراهيم ٠

٨ ـ How to Make Wer, James F. Dunningan, 1983,page 12 - 13.

٩ ـ كتابي ـ من اعلام تاريخنا العسكري ، ١٩٦١ ، صفحة ١٤ و ١٥ ٠

١٠ ـ A History of Warfare, Montgomery, 1968, page 19 .

١١ ـ A History of Warfare, Montgomery, 1968, page 21.

١٢ ـ الجنرال أنطوان هنري جوميني ، أحد رواد الاستراتيجية الحديثة ، سويسري الأصل ، ولد سنة ١٧٧٩م وتوفي سنة ١٨٦٩م ٠ خدم في الجيش الفرنسي حتى وصل رتبة لواء ، ثم خدم في جيش الكساندر قيصر روسيا ومنح رتبة جنرال ، وله عدة مؤلفات في صناعة الحرب تبلغ سبعة وعشرين مجلدا ، جمعت حروب فردريك الاكبر ، وحروب الثورة الفرنسية وحروب نابليون ٠ لمزيد من التفاصيل راجع رواد الاستراتيجية الحديثة ـ الكتاب الأول ـ الفصل الرابع ، صفحة ٢٦٩ ـ ٣١٦ ٠

الفصل الثاني

الحرب العربية الاسرائيلية الأولى

١٩٤٧ ـ ١٩٤٩م

بدأ الحضور العربي يظهر على ساحة الصدام في فلسطين اعتبارا من خريف عام ١٩٤٧م ، ومنذ البداية لم يتطرق ميثاق الجامعة العربية للشئون العسكرية ، ولم يفكر مجلس الجامعة بأي تدابير عسكرية لمجابهة تهديد بالقوة المسلحة قد يقع على أي من دول الجامعة ، ومع تطور الموقف على أرض فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية ، ووضوح الخطر الصهيوني الذي أخذ طابع القوة المسلحة ، انعقدت اللجنة السياسية للجامعة العربية في صوفر يوم ١٦ أيلول ١٩٤٧ ، وأهم ما تمخض عنه الاجتماع هو تأليف لجنة من الخبراء العسكريين لدراسة الموقف في فلسطين ، وتقديم تقرير حول ذلك الى اللجنة السياسية ٠

وفي ٧ تشرين أول ١٩٤٧ تدارس مجلس الجامعة التقرير الذي أعده الخبراء العسكريون في اجتماع عقد في عاليه بلبنان ، ومنذ هذا التاريخ بدأت أهمية الشئون العسكرية تظهر الى الوجود على مستوى الجامعة العربية ، أقر مجلس الجامعة في اجتماع عاليه بالاجماع ما ورد في تقرير الخبراء العسكريين وقرر وضع تواصيهم موضع التنفيذ، وكانت خلاصة هذا التقرير تفيد : « أن لدى اليهود منظمات عسكرية تضم ما لا يقل عن ٦٠ ألف مقاتل مجهزين باسلحة جديدة وعتاد وافر ، ولديهم مصانع للذخيرة وتصليح السلاح ، ولديهم عدد كبير من المدربين والضباط المجربين ٠ وان سلاح العرب ضئيل وغير صالح وقديم وعتادهم قليل ، وان العرب في المناطق التي يكتظ فيها اليهود يجابهون خطراً كبيراً ويتعرضون للقسوة والفتك فور انسحاب القوات البريطانية ، وقد أوصى التقرير بما يلي[1] :

١ ـ توصي اللجنة بجعل العرب الفلسطينين الاساس في الدفاع عن بلادهم وضرورة وضعهم في وضع مماثل للوضع الذي فيه اليهود من حيث تسليحهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا فنيا والاستعانة بالمتطوعين القادمين من الاقطار العربية لمساعدة الفلسطينيين ٠

٢ ـ وجوب مرابطة الجيوش العربية النظامية على حدود فلسطين دون دخولها ، وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدتهم عند الضرورة ببعض العتاد والضباط ، وتسلل الوحدات الفنية كمتطوعين للمساعدة عند مسيس الحاجة » ٠

وشكلت في هذا الاجتماع أيضا لجنة عسكرية فنية مرتبطة بالأمين العام مباشرة ، وعهد اليها تنظيم الدفاع عن فلسطين ، والحصول على السلاح اللازم ،وتدريب الفلسطينيين ومتطوعي البلاد العربية ، واتخذت اللجنة العسكرية دمشق مقرا لها ، ووضعت الحكومة السورية تحت تصرفها معسكر (قطنا) القريب من دمشق ·

جيش الانقـاذ

تغيرت خطة الاعتماد على الفلسطينيين بالدرجة الأولى للدفاع عن بلادهم ـ والتي رسمها الخبراء العسكريون وأقرها مجلس الجامعة ـ بين عشية وضحاها · وبدأ العمل في تشكيل جيش من متطوعي البلاد العربية باسم «جيش الانقاذ» وتعزى أسباب هذا التغيير المفاجيء الى ما يلي :

١ ـ رضوخ الدول العربية الى ضغوط بريطانية حيث اعترضت على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم بحجة ان هذا عمل (غير ودي) ضدها وهي الدولة المنتدبة ولم تنسحب بعد من البلاد[٢] · وسكتت الدول العربية بينما كان اليهود يمارسون التدريب والتسليح والتحضير للحرب بكل متطلباتهما تحت سمع ونظر الدولة المنتدبة ·

٢ ـ انعدام الثقة والانسجام بين الدول العربية والريبة في نوايا بعضها البعض نتيجة الخلافات السياسية والمنازعات الداخلية ·

٣ ـ هيأ تشكيل جيش الانقاذ مخرجا لبعض المسئولين العرب للتخلص من تواصي اللجنة العسكرية بحشد الجيوش العربية على حدود فلسطين ، وبعض الدول العربية كان لديها جيوش بالاسم فقط ، ولم توفر لجيوشها وسائل الاعداد للحرب ·

جرى تشكيل جيش الانقاذ رسميا يوم ١ كانون الثاني ١٩٤٨م وقوامه ثماني كتائب مشاة اسندت قيادة معظمها الى ضباط سوريين وعراقيين ، ويقود كتيبة واحدة السيد ميشيل العيسى وهو فلسطيني من مدينة يافا · وقد عين اللواء الركن اسماعيل صفوت قائداً عاماً لهذا الجيش ، والعميد الركن طه الهاشمي مفتشاً عاماً ، والسيد فوزي القاوقجي قائداً للميدان في فلسطين ·

وصل موجود القوة في هذا الجيش الحد المقرر وهو ثمانية آلاف رجل ، ولكن في أوائل شهر أيار ١٩٤٨ ، كان موجود القوة على أرض فلسطين (٧٧٠٠) رجل مسلح وكانت اعداد المتطوعين من البلاد العربية على النحو التالي[٣] :

سوريا	١٠٠٠	رجل زائداً بطارية مدفعية ٧٥ ملم
لبنـان	٥٠٠	رجـــل
العراق	٢٠٠٠	رجل زائداً بطاريتا مدفعية
الأردن	٥٠٠	رجل زائداً بطارية مدفعية
السعودية	٢٠٠٠	رجـــل
مصـر	٢٠٠٠	رجل زائداً بطارية مدفعية
المجموع	٨٠٠٠ رجل	

كان من ضمن العدد المتواجد في فلسطين من هذا الجيش (٥٢٠٠) رجل متطوعون تدربوا في معسكر (قطنا) و (٢٥٠٠) مجاهد فلسطيني[٤] • وكانت هناك منظمة (الجهاد المقدس) التابعة للهيئة العربية العليا حيث آثرت الأكثرية الساحقة من الفلسطينيين الخدمة في صفوفها •

كان تشكيل هذا الجيش أول مظهر عملي للتعاون العسكري العربي ، وعلق عليه العرب آمالا كبيرة لانقاذ فلسطين ، وتحرير باقي الاقطار العربية الواقعة تحت نير الاستعمار على اساس زيادة قوته في المستقبل ، انفتحت وحدات هذا الجيش في المنطقة الوسطى والشمالية من فلسطين من خط يمتد من مدينة القدس الى يافا ثم شمالا الى الجليل الأعلى والحدود اللبنانية • وقـد اشتركت وحداته مـع قوات المجاهدين الفلسطينيين في الدفاع عن بعض المدن والمناطق ، ولم يكتب له النجاح في المعارك التي خاضها ضد اليهود وكان أهمها : معركة (جدّين) بالقرب من ترشيحا بالجليل الأعلى في أواخر كانون الثاني ١٩٤٨ ، ومعركة (الزرّاعة) ـ تيرات تسفي ـ في قضاء بيسان في شباط ١٩٤٨ ، ومعركة (مشمار هاعيمك) بين حيفا وجنين في نيسان ١٩٤٨ • وسجلت قوات جيش الانقاذ نجاحا في معارك باب الواد في النصف الأول من أيار ١٩٤٨ بالتعاون مع المجاهدين الفلسطينيين •

وكانت أهم أسباب فشل هذا الجيش ما يلي :

أ ـ ضعف القادة وعدم توفر الكفاءة العسكرية •

ب ـ ضعف التدريب والتسليح والتجهيز ـ لم يتم التدريب الاساسي بشكل كامل أو التدريب الاجمالي •

جـ ـ كون الجيش خليط من أفراد غير متجانسين ومن بلاد مختلفة بميول وقابليات مختلفة ، فكانوا مزيجا من سوريين ولبنانيين وعراقيين وأردنيين ومصريين وحجازيين ويمنيين ومغاربة ، وعدد غير قليل من الاتراك والالمان واليوغسلافيين والانكليز •

د ـ قلة عدد هذا الجيش والنقص الشديد في المعدات الحربية ، حيث كانت اسلحته قديمة وفاسدة ومتعددة الانواع والذخيرة شحيحة ، والعدد الذي وصل اليه موجود الجيش لا يكفي لمجرد الدفاع عن منطقة واحدة في فلسطين • أما اذا كان الغرض منه الهجوم ، فيجب أن يكون متجمعا على شكل كتلة واحدة ، أو تشكيلات متقاربة في ساحة العمليات لتتم السيطرة الكافية وتوجيه العمليات •

هـ ـ لم يكن هناك تصور واضح عن كيفية استخدام هذا الجيش لدى المسئولين ، وكانت القيادة العامة في دمشق ، ولم تعرف ما كان يجري على أرض العمليات في فلسطين ، ولم يكن للقيادة العامة أي تأثير على سير العمليات ، وصار الجيش يعمل بقيادات الوحدات الموجودة في مناطق متباعدة • وكان الاجراء الصحيح ان يتم تأليف هذا الجيش على ضوء قدرات العدو وتحديد واجبه وتجهيزه ليتغلب على قوات العدو وبالتالي تدميرها ، وهذا لا يتحقق الا بالتفوق على العدو بالقدرات وعلى رأسها التدريب والقيادة •

و ـ عدم اهتمام الدول العربية بهذ االجيش بعد تشكيله لزيادة قدراته وأعداده ، والتبصر في أسباب الفشل منذ البداية ، والعمل على اصلاحها ، وكأن الدول العربية ازاحت عن كاهلها العبء بعد تشكيل هذا الجيش واكتفت بذلك • وعندما دخلت الجيوش العربية النظامية الى فلسطين يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ ، حددت الأوامر لجيش الانقاذ بالتجمع في المنطقة الشمالية من فلسطين للدفاع عن الجليل الغربي ، وبقي هناك حتى هاجم اليهود منطقة الجليل الغربي في ١٩٤٨/١٠/٣١ واضطروا جيش الانقاذ الى الانسحاب نهائيا من فلسطين •

الجيوش العربية النظامية

كان الموقف في فلسطين بوجه عام يميل لصالح العرب منذ صدور قرار التقسيم (١٩٤٧/١١/٢٩) حتى نهاية اذار ١٩٤٨ ، وكان القتال حول مدينة القدس أكثر عزماً ربما لان الفلسطينيين أنفسهم لعبوا الدور الاكبر في هذا القتال اذ كانوا يقاتلون دفاعا عن بلادهم وبيوتهم(٥) • وفي العشرة أيام الأخيرة من شهر أذار ١٩٤٨ سجل المجاهدون انتصارا ساحقا في معركتين كبيرتين في منطقة القدس ، فكانت الأولى معركة (شعفاط) وجرت يوم ٢٤ أذار ١٩٤٨ ، والثانية معركة (الدهيشة) عند مدخل بيت لحم للقادم من الخليل ، وجرت يوم ٢٩ أذار ١٩٤٨ ، وبذلك اشتدت وطأة الحصار العربي على يهود القدس وسيطر المجاهدون على كافة المحاور المؤدية اليها •

تغير الموقف مع بداية شهر نيسان ، حيث تبين أن اليهود قاموا بتحضيرات كبيرة تستهدف احتلال اكبر قدر من الأرض المخصصة للعرب في قرار التقسيم ، خلال الاسابيع القليلة المتبقية على نهاية الانتداب ، وكانت أول هذه العمليات موجهة للسيطرة على طريق القدس – تل ابيب لفك الحصار عن يهود القدس ، واطلقوا على هذه العملية الاسم الرمزي (نحشون) ، وخصصوا لها خمسة آلاف رجل مزودين بالاسلحة الحديثة والسيارات المصفحة وبعض الدبابات الخفيفة ، وتألفت في معظمها من الهاغانا وعصابتي الارغون وشترن وعدد من المرتزقة الاجانب من جنسيات مختلفة ، اقتحمت هذه القوة ممر باب الواد بعد معركة عنيفة ثم احتلت قرية القسطل العربية يوم ٣ نيسان وأخذت تفتك بالقرى العربية في طريقها حتى انجزت مجزرة دير ياسين يوم ٩ نيسان[٦]

وفي يوم ٢٥ نيسان ١٩٤٨ قررت الجامعة العربية ان تتدخل جيوش الدول الاعضاء في فلسطين حالما ينسحب البريطانيون • وهكذا ضاعت اشهر ثمينة كانت ستفيد الجيوش العربية في التحضير للحرب ، وحتى بعد صدور القرار ، لم تتقرب الجيوش العربيـة لتتحشد عـلى مقربـة مـن الحـدود ، ولم تؤسس قيـادة عـامة لهـذه الجيوش •

وفي يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ دخلت فلسطين قوات من جيش مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان ، وقوات سعودية الحقت بالجيش المصري ، وكان مجموع هذه القوات كما يلي :

مصر	١٠ر٠٠٠ رجل
العراق	٣ر٠٠٠ رجل
سوريا	٣ر٠٠٠ رجل
لبنـان	١ر٠٠٠ رجل
الأردن	٤ر٥٠٠ رجل

أي ما مجموعه ٢١ر٥٠٠ رجل ، مقابل ٦٥ ألف رجل لدى اليهود في وحدات نظامية مدربة تدريبا جيدا بالاضافة الى قوات الدفاع المحلية في المستعمرات وعددها عشرون ألفا نصفهم من الفتيات •

دخلت الجيوش العربية الى فلسطين بدون قيادة موحدة تخطط للحرب وتوجه العمليات ، وكان قد أنشىء لهذه الجيوش هيكل قيادة عامة مرتجلة في اللحظات الأخيرة قبل دخولها ، ولم يتوفر لهذه القيادة هيئة ركن متكاملة لتقوم بالتخطيط الموحّد

وتنسيق العمليات ، والتالي لم يصغ أحد لآرائها ومقترحاتها « لم يكن هناك تخطيط عربي مشترك من أي نوع ، وقد ادعى الاسرائيليون في وقت لاحق معرفتهم بخطة عربية رئيسية تشمل استراتيجية جميع الجيوش العربية ، والحقيقة ان مثل هذه الخطة لم يكن لها وجود ، ولم تجر أية محاولة لتحضير خطة »(٧) والخلاصة ان الجيوش العربية التي دخلت فلسطين عملت خلافا لجميع مبادىء الحرب تقريباً • وبالرغم من التناقضات آنفة الذكر في الجانب العربي ، وبعد سبعة وعشرين يوما من القتال المتقطع (١٥/٥/٤٨ — ١١/٦/٤٨) كانت اسرائيل في موقف حرج جداً ، وكادت مدينة القدس تسقط بكاملها بيد القوات الأردنية ، فتم فرض الهدنة الأولى لمدة شهر في ١١/٦/١٩٤٨ ، وانطلت هذه الخدعة على الدول العربية ، حيث كانت الهدنة كليا لصالح العدو ليلتقط أنفاسه وينقذ يهود القدس المحاصرين وعددهم حوالي مائة ألف • ثم يستغل الوقت للحصول على المزيد من الاسلحة ، وزيادة حجم وكفاءة قواته ، ثم التمسك بالتعرض والمبادأة في العمليات اللاحقة ، ومواصلة ذلك حتى اضطرت الدول العربية الى توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في جزيرة رودس في بداية عام ١٩٤٩ ، بين كل من مصر والأردن وسوريا ولبنان من جهة ، واسرائيل من جهة أخرى •

الدروس المستفادة

عندما تلجأ أمة الى الحرب ، فأن النجاح أو الفشل مرهونان بما تستطيع تحقيقه أو تعجز عن تحقيقه ، لجأ العرب الى الحرب لانهم رفضوا الموافقة على سلب جزء من بلادهم وتسليمه للغرباء ، ولكن هؤلاء الغرباء كانوا قد حددوا الهدف ووضعوا الخطط المدروسة للوصول اليه ، وساروا في ذلك لا يلتفتون الى شيء ، كانوا اذا حصلوا على قرار هيئة دولية أو تصريح من دولة لصالحهم ، يعملون بكل قوة في فلسطين وخارجها لتقوية ذلك الموقف ، واذا كان القرار أو التصريح ضدهم ، عملوا بكل قوة في الداخل والخارج لافشال ذلك وتعطيله •

حصلوا على وعد بلفور (٢/١١/١٩١٧) فعملوا على تنفيذه بمساعدة جميع القوى المتاحة لهم ، واصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ ، فعمل اليهود على تعطيله لانه لا يتلائم مع أهدافهم ومطامعهم ، وحصلوا على قرار التقسيم (٢٩/١١/١٩٤٧) القاضي باقامة دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين ، فعملوا بكل الوسائل والقوى لانشاء تلك الدولة •

وكل واقع تستطيع أمة تحقيقه على أرض الصراع هو الذي يحدد الحل ، لقد أشارت الوثائق السرية البريطانية لعام ١٩٤٨(٨) التي كشف النقاب عنها عام ١٩٧٧ بعد مرور ثلاثين عاماً عليها ، اشارت الى المراسلات التي جرت بين واشنطن ولندن خلال

شهري شباط وأذار ، وكان المناضلون العرب قد الهبوا المعارك في كل مكان في فلسطين، والموقف العسكري يميل لصالح العرب الى حد ما ، لذلك قامت امريكا بالسعي لالغاء قرار التقسيم ، وطرحت مسألة الوصاية على فلسطين أو تمديد الانتداب ، ولكن الموقف العسكري تغير مع بداية نيسان ١٩٤٨ ، حيث بدأ اليهود عمليات تعرضية كبيرة ناجحة ، واضطرب ميزان الموقف وأخذ يشير نحوهم ، فطويت مساعي الغاء قرار التقسيم ٠

أما التحرك على الساحة الدولية فقد نشط اليهود وعملاؤهم في الدول الغربية والشرقية لجلب السلاح والمتطوعين وكسب التأييد ، وقد حاولت بريطانيا ان تكون محايدة بين الطرفين خلال عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ومنعت توريد السلاح للطرفين ، وكذلك فعلت بعض دول غربية ، فعمل اليهود على تهريب الاسلحة من تلك الدول ، واتجهوا الى دول الكتلة الشرقية ، وفتحت أمامهم المستودعات في تشيكوسلوفاكيا للحصول على كافة أنواع الاسلحة والمعدات والطائرات ، كما فتحت هناك مراكز التدريب للشباب اليهودي وارسالهم الى فلسطين لينضموا رأسا الى التشكيلات المقاتلة(٩) ٠

وكان العرب في ذلك الوقت يديرون ظهورهم للكتلة الشرقية فلم يستفيدوا من دولها شيئا سواء على صعيد التسليح أو على صعيد الدعم السياسي والمعنوي ٠

ومع ان عدد اليهود المدربين الذين حملوا السلاح في فلسطين عند دخول الجيوش العربية اليها كان اكبر من القوات العربية ، الا أن الموقف العسكري خلال الاسابيع الثلاثة الأولى كان سيئا بالنسبة لليهود والخوف يخيم على مجتمعهم ٠ كان اليهود يجمعون قوتهم الضاربة لحسم الموقف في مكان معين أو جبهة معينة ، ثم ينتقلون الى مكان آخر أو جبهة ثانية ، ويغامرون بابقاء بعض جبهاتهم الأخرى ضعيفة ، لان العرب لا يقومون بالتعرض والهجوم ٠ ولو عمل العرب بموجب خطة مشتركة منسقة ولازموا التعرض وركزوا على هدفين رئيسين حاسمين هما تل ابيب والقدس خلال الأيام الأولى لدخول فلسطين لحصلوا على نتائج حاسمة ، ولا يمكن تصور مدى الارتباك الذي كان سيصيب الدولة اليهودية ، وذلك مع الاستفادة من جميع القوى والعناصر المسلحة في فلسطين الى جانب الجيوش النظامية ، وكان الاحتمال الاقوى هو نهاية تلك الدولة خلال أيام معدودة ٠ وأبرز الدروس المستفادة من هذه الحرب هي :

أ ـ انتخاب الهدف

تحديد وانتخاب الهدف أولى الضرورات لاية أمة وأية قوة عسكرية ، ويجب ان تعرف القوات ما هو الهدف من دخولها الحرب ، وتعمل بكل ما هيأته من قوة واستعداد للحصول عليه ، وهذه المعرفة مطلوبة لكل مستوى من مستويات القيادة وقيادة

التشكيلات العسكرية • ان عدم انتخاب الهدف والعمل على ادامته في هذه الحرب ، جعل القوات العربية تعمل بأهداف منفردة محدودة لا تعرفها القوة العربية المجاورة لها في الميدان • ويمكن تصور الهدف هنا ليكون : « تدمير القوات اليهودية المسلحة واحتلال فلسطين كاملة لتأسيس دولة عربية فيها » • ولتحقيق هذا الهدف ، كان على الجيوش العربية أن تهاجم القوات الاسرائيلية والأهداف الحيوية في المناطق التي يتواجد فيها اليهود ، والاستمرار في الحرب بزخم متواصل حتى يتحقق ذلك •

ب ــ حشد القوة

دخلت الجيوش العربية الى فلسطين على اجزاء متعاقبة وعلى فترات زمنية متباعدة ، ولم يتكامل حشد أي جيش عربي في المكان اللازم والوقت اللازم ، وبذلك لم يطبق أي جيش بمفرده مبدأ «حشد قوة» ، وبالتالي لم تطبق الجيوش العربية هذا المبدأ كقوات صديقة تعمل بهدف واحد ضد عدو واحد • وكان أهم خطأ ارتكبته دول الجامعة هو عدم حشد قواتها وامكاناتها المادية للحرب ، ولم تقم بالتحضير والاستعداد المسبق حسب مفهوم الحرب ، ويشمل ذلك الحصول على المعلومات الدقيقة عن قدرات العدو العسكرية والمدنية ، وتأمين الحصول على الذخيرة والمعدات العسكرية اللازمة لخوض الحرب على ضوء تقدير موقف عسكري سليم •

جـ ــ وحدة القيادة

أحد مبادىء الحرب الهامة ، ويتطلب تأسيس سلطة منفردة لتوحيد الجهد وتعاون جميع العناصر لاتمام المهمة الموكولة للقوات المسلحة ، بعمل منسق لجميع القدرات والامكانات، كانت ميزة وحدة القيادة السياسية والعسكرية بجانب العدو ، بينما عملت القوات العربية بدون قيادة واحدة ، ان فوائد وحدة القيادة عوامل بارزة ومؤثرة في الحروب بصورة منتظمة ، فقد امتازت المانيا على الحلفاء في بداية الحرب العالمية الثانية بوحدة القيادة وحصلت على نتائج باهرة حتى أفاق الحلفاء على هذه الحقيقة واكدوا نفس المبدأ ، كما كانت وحدة القيادة للجيوش الاسلامية في معركة اليرموك أحد العوامل الرئيسية الحاسمة أدت الى النصر على عدو متفوق بالعدد والعدة •

د ــ التعـــاون

مبدأ هام آخر وخاصة عندما تعمل قوات بلاد مختلفة أو دول متحالفة ضد عدو مشترك • لم يحصل تعاون جدي بين جيوش الدول العربية طيلة مدة الحرب ، وصار كل جيش يحارب في جبهة مستقلة دون اتصال أو تنسيق مع الجبهات المجاورة ،

واستغل العدو فقدان التعاون بين الجيوش العربية وأخذ يستفرد بكل جيش على حده، دون ان تتحرك الجيوش الأخرى لا سيما وان جبهة العدو أمامها تكون حينئذ ضعيفة ، واسوأ مثل في عدم التعاون عندما هاجمت اسرائيل بالقسم الاكبر من قواتها جبهة الجيش المصري في الجنوب في تشرين أول ١٩٤٨ ، وكذلك جبهة جيش الانقاذ في الجليل الأعلى ٠

هـ ـ التعرض والمبادأة

ان الجانب الذي يستهدف التطبيق الصحيح لمبادىء الحرب لا بد له من التمسك بمبدأي التعرض والمبادأة أولا ، وبذلك يتمكن من فرض ارادته على عدوه ، وتصبح أعمال عدوه ردود فعل لاعماله التي يمليها ٠ وعلى أي قائد ان يكون متيقظا للتمسك بالمبادأة حتى في مرحلة الدفاع ، عن طريق القيام بأعمال تعرضية مضادة ، ولا تكسب الحروب الا بالعمليات التعرضية مع التصميم على انتهاز أية فرصة لتدمير العدو ٠ وبالتعرض يتم الحصول على المبادأة وبذلك تتيسر حرية العمل للجانب الذي يفعل ذلك ٠

واذا رجعنا الى ما جرى على أرض فلسطين خلال حرب ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ ، فسنجد أن الجيوش العربية بعد أن تكاملت التزمت الدفاع ، ولم تقم الا بعمليات تعرضية محدودة كانت سرعان ما تعود بعدها الى الدفاع ، وبذلك قدمت للعدو عن طيب خاطر مبدأ (المبادأة) وهذا شيء خطير في الحروب ، لان القاعدة الذهبية هي انه عندما يفقد أي قائد (المبادأة) عليه العمل بكافة الوسائل لانتزاعها ثانية من عدوه ٠ وأخذت اسرائيل تستفرد بكل جيش على حده ، بينما تقف الجيوش الأخرى متفرجة لا تبدي نشاطا ولا حركة ، وأبرز مثل على ذلك عندما هاجمت اسرائيل الجيش المصري في الجنوب ، وجيش الانقاذ في الجليل الأعلى في تشرين أول ١٩٤٨ ٠

وأخيراً ، كانت جميع تحركات الجيوش العربية مكشوفة للعدو ، والاعلان مستمر عن نواياها ، وليس هناك حفاظ على الاسرار العسكرية ، ففقدت مبدأي المفاجأة والأمن ٠

خدعة الهدنة

على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، برزت هيئة الأمم المتحدة كعامل ذي وزن وتأثير على الحروب والنزاعات الدولية ، وخاصة في السنوات العشر الأولى من عمرها ، وصارت هيئة الأمم طرفا ثالثا يتدخل بين الاطراف المتحاربة لوقف اطلاق النار واملاء الهدنة ، وتموين الأماكن المحاصرة أو المعزولة بسبب الحرب ، تحت علم هيئة الأمم المتحدة ٠ وبالرغم من النواقص والاغلاط فقد استطاعت الجيوش العربية القيام ببعض

العمليات العسكرية الناجحة ، فقاتلت بشجاعة وانتصرت في عدة معارك حيثما كلفت لانجاز المهام الموكولة اليها ، ولم تبخل بالارواح ، تسودها روح الاقدام والمعنوية العالية • وبعد ثلاثة اسابيع من دخولها الى فلسطين صار موقف اليهود العسكري حرجا ، وخيمت الكآبة والخوف على المجتمع اليهودي باكمله ، ولم تنجح قواتهم في هجماتها المضادة على القوات العربية ، وحطمت القوات الأردنية بصمودها في منطقة اللطرون وباب الواد عدة محاولات للعدو لشق الطريق وفك الحصار عن يهود القدس، وسقط الحي اليهودي في البلدة القديمة بيد القوات الأردنية ، في أواخر أيار ، كما دحرت القوات العراقية محاولات العدو في المنطقة الوسطى ، وكان الاندحار الاكبر في معركة جنين التي جرت في أوائل حزيران ، ونجحت القوات السورية في اقتحام مستعمرة (مشمارهايردن) شمالي بحيرة طبريا ، واستعادت قوات جيش الانقاذ والقوات اللبنانية بلدة (المالكية) وانتشرت في الجليل الأعلى ، بينما كان موقف القوات المصرية في جنوب فلسطين جيدا ، وفشلت محاولات اليهود لايقاف تقدمها • وبوجه عام شعر اليهود ان القوات العربية تقترب من مراكزهم الحيوية وتهدد أماكن التجمعات السكانية، وتحرج موقف يهود القدس الى درجة كبيرة ، وقامت مظاهرات في القدس وتل ابيب وبعض المستعمرات تطالب باجراء مفاوضات مع العرب لوقف القتال ، وطلب يهود القدس الاستسلام للقوات الأردنية ، فرجاهم بن غوريون الصمود بضعة أيام أخرى ، وحدد لهم مهلة أربعة أيام ، وكانت برقياته كل يوم تفيد ان الفرج في طريقه اليكم وان هيئة الأمم على وشك التدخل لصيانة كيان دولتهم • وقد وصف الكاتب اليهودي (هاري ليفي) في الصفحة (٢٤٣) من كتاب (Embattled Jerusalem) الموقف في القدس في ذلك الوقت قائلا : « الجنود يكادون يموتون من الجوع والتعب ، اسلحتهم قليلة وعتادهم قليل ، كنا محصورين ، الاحياء الغربية من المدينة تكاد تتمزق من شدة القصف • اذن لا بد من الهدنة ، انها رحمة والا قتلنا العرب جوعاً » •

وجاءت الهدنة الموعودة من هيئة الأمم المتحدة •وكانتالهدنة نصراً سياسيا كبيرا لليهود • كانت الهدنة الأولى لمدة شهر اعتبارا من ١٩٤٨/٦/١١ واستغل اليهود كل دقيقة فيها ، وتم لهم بسرعة ايصال المؤن الى القدس المحاصرة والمستعمرات النائية تحت علم هيئة الأمم ، وقاموا بتعزيز قواتهم في كافة الجبهات واستكمال نواقصها ، وانهالت عليهم الاسلحة ومعدات الحرب من الدول الشرقية والغربية ومن ضمنها عدد من الطائرات الحربية من مقاتلة وقاصفة ،كما جلبوا آلاف المهاجرين بينهم اعداد كبيرة من الرجال المدربين ، وجندوا مئات المرتزقة الاجانب من طيارين وخبراء ومقاتلين

برواتب ضخمة ، ومع نهاية الهدنة الأولى كانوا قد وصلوا الى التفوق بشكل حاسم على الجيوش العربية في الأعداد ومعدات الحرب الحديثة ، والتمسك بالتعرض والمبادأة حتى نهاية الحرب أوائل عام ١٩٤٩ ٠

أما موقف العرب خلال الهدنة الأولى فكان يدعو الى الشفقة ، فلم يحصلوا على أسلحة جديدة ـ وكانت الدول المصدرة لهم تحجب عنهم ذلك ـ واكتفوا بالقعود واصدار البيانات وتوجيه الاتهام لاعمال العدو ٠ وكان المسئولون العرب يعلنون دائماً عن تمسك بلادهم وحرصها على الهدنة لدرجة المغالاة ٠ وهكذا انقذت الهدنة الأولى الدولة اليهودية وكتبت بقاءها وجاءت الهدنة الثانية فدعمت الدولة اليهودية التي اصبحت قوة متفوقة لا تخشى العرب ، وانتهت هذه الحرب بمفاوضات رودس ، فكان قبول العرب للهدنة اكبر خطأ ارتكبته القيادات العربية ٠

الهـــوامش

١ ـ التعاون العسكري العربي ، العميد الركن حسن مصطفى ، ١٩٦٥ ، صفحة ١٧ ـ ١٨ ٠

٢ ـ المعذبون في الأرض ، اميل الغوري ، صفحة ٧٧ ٠

٣ ـ Elusive Victory, T. N. Dupuy, 1978, page 13 - 14.

٤ ـ تقرير اللواء الركن اسماعيل صفوت رئيس اللجنة العسكرية والقائد العام للجيش ، المرفوع الى الأمانة العامة للجامعة العربية بتاريخ ٢٣ أذار ١٩٤٨ ٠

٥ ـ A Soldier With the Arabs, J. B. Glubb-page 80.

٦ ـ مقابلة مع السيد كامل عريقات نائب قائد قوات الجهاد المقدس جرت عام ١٩٨٠م ٠ وكتاب : تاريخ الجيش الاسرائيلي لزئيف شيف ، صفحة ٣٢ ٠

٧ ـ لمزيد من التفاصيل راجع :
J. B. Glubb, A Soldier With the Arabs, pages 84 - 85.

٨ ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية للعام ١٩٤٨ ، وقد اطلعت عليها في لندن عام ١٩٧٧م ٠

٩ ـ نفس المرجع السابق ـ وثائق الخارجية البريطانية ٠

الفصل الثالث

الهدنة الساخنة وحرب السويس

أُطلق على اتفاقيات رودس لعام ١٩٤٩ اسم (الهدنة الدائمة) ، والشائع في تاريخ الحروب ان تكون الهدنة اما عامة ، وتشمل وقف القتال بين القوتين المتحاربتين في جميع الميادين ، ويملك عقدها حكومات الدول المتحاربة ، أو محلية خاصة بميدان معين من ميادين القتال ويملك عقدها القائد الأعلى للمنطقة • وقد تكون الهدنة محددة بمدة معينة ، فاذا لم يصل الطرفان خلالها الى الصلح جاز لكل منهما استئناف القتال بعد نفاذ موعدها ، وقد تكون لغايات انسانية مثل اخلاء الجرحى وتبادل الأسرى ، أو لغايات دينية بمناسبة الاعياد •

وقد لا تكون الهدنة موقوتة ولا تحدد بأجل ، وفي هذه الحالة يجوز لكل طرف ان يستأنف القتال في أي وقت بشرط اخطار الطرف الثاني •

وسواء أكانت الهدنة عامة أو محلية يتوقف فيها القتال ، ولا تنتهي حالة الحرب حيث تبقى قائمة بين الطرفين المتهادنين مهما طالت مدة الهدنة حتى لو اشترط في عقد الهدنة على عدم العودة لحالة القتال ، وتظل للطرفين حقوق المحاربين حتى تنتهي بصلح دائم تسوى فيه المنازعات التي كانت مثارا للحرب[١] •

تمركزت قوات مصر والأردن وسوريا ولبنان على خطوط الهدنة الجديدة أو خطوط وقف اطلاق النار ، وتخندقت ملتزمة الدفاع ، ومنع الدخول الى المنطقة المحتلة من فلسطين أو الخروج منها ، ولم تمض أشهر قليلة على توقيع اتفاقية الهدنة حتى بدأت اسرائيل تشن سلسلة من العمليات الانتقامية ضد القرى العربية تارة ومراكز القوات العربية تارة أخرى ، وكانت حجة اسرائيل في البداية من الغارات الانتقامية هي الرد على عمليات تسلل المدنيين العرب الى داخل الأراضي المحتلة ، والواقع ان عمليات تسلل المدنيين العرب الذين طردوا من بيوتهم وأراضيهم كانت تقع بصورة فردية بين وقت وآخر ، منها ما هو لزيارة الاقارب هناك ، أو جلب اشياء كان قد تركها المطرود حين قذفت به قوات العدو بصورة فجائية تحت تهديد الحرب[٢] • وأمام خطر القتل الذي كان نصيب المتسلل اذا اصطدم بدوريات العدو ، صار بعض المتسللين يحمل سلاحا للدفاع عن نفسه والرد على العدو ، فصارت الاشتباكات تقع داخل الأرض المحتلة بين فرد عربي وجنود يهود ، تتبعها عملية اغارة اسرائيلية عبر خط الهدنة حسب تبرير اسرائيل وتحديدها للجهة التي انطلق منها المتسللون •

ويقول الفريق جون كلوب في الصفحة ٣١٤ من كتابه : (السلام في الأرض المقدسة) النسخة الانكليزية ، حول هذه الحوادث ما يلي : (لم نعرف ابدا لماذا رفض الاسرائيليون التعاون ، فالبعض يظن ان الحوادث الليلية التي أطلقوا عليها (الغارات العربية) تديم تدفق المساعدة المالية من الغرب على اساس كون اسرائيل في خطر • ويعتقد البعض الآخر ان الاسرائيليين اعتبروا أنفسهم فاتحين أوروبيين ، وانه يحط من قدرهم التعاون مع الناس المحليين ، وفضلوا بكل بساطة (معاقبة) هؤلاء الذين يزعجونهم)[٣] •

استمرت اسرائيل في اتباع استراتيجية الضربات الانتقامية عبر خط الهدنة حتى حرب السويس عام ١٩٥٦ ، كما وقعت غارات انتقامية فيما بين حرب السويس وحرب حزيران ١٩٦٧ حسب الحوادث التي كانت تشهدها خطوط الهدنة • وكانت اتفاقية رودس قد حددت مناطق مجردة من السلاح أو مناطق حرام في الجبهة المصرية والأردنية والسورية ، فعملت اسرائيل على ضم هذه المناطق تدريجيا اليها ، وطردت منها مراقبي هيئة الأمم المتحدة الذين كانوا يشرفون عليها •

تنوعت عمليات الاعتداء الاسرائيلية خلال الهدنة ، من دخول الطائرات للاجواء العربية بقصد الاستطلاع ، الى دوريات عسكرية ، الى اشتراك تشكيلات عسكرية كبيرة لقتل المدنيين وتدمير القرى ، والشيء البارز في هذه الاعتداءات انها كانت تخطط بعناية وتنفيذ من قبل القوات النظامية الاسرائيلية بناء على تعليمات الحكومة • وطبقا لسجلات هيئة الأمم المتحدة ، قامت القوات الاسرائيلية بأربعين عملية هجومية على المناطق العربية في الفترة ما بين توقيع اتفاقية الهدنة الدائمة وشهر نيسان ١٩٦٧[٤] •

أخذت الجبهة الأردنية النصيب الاكبر من غارات اسرائيل عبر خطوط الهدنة سواء في الضفة الغربية أو الضفة الشرقية ، وكانت اسرائيل تستهدف تحقيق ما يلي :

أ — ترويع سكان المناطق المحاذية لخط الهدنة واجبارهم بالتالي على هجر مدنهم وقراهم •

ب — التوسع عن طريق الضم التدريجي لأية منطقة خالية من السكان على الحدود •

جـ — تدريب جيشها تحت ظروف القتال الفعلي ، ويتم ذلك بصورة واقعية ، فكانت الغارات الاسرائيلية من مستوى الفصيلة والسرية احيانا ، ثم وصلت الى مجموعة كتيبة ، ومجموعة لواء مدرع أو لواء آلي أو يزيد تحت اسناد الطيران ، كما حدث في الاعتداء على قرية السموع في خريف عام ١٩٦٦ •

د ـ التمسك بالتعرض والمبادأة لادامة المعنويات بين القوات المسلحة والسكان المدنيين وجلب المزيد من المهاجرين ·

هـ ـ التأثير على معنويات القوات المسلحة العربية والمدنيين ·

و ـ كسب التأييد المادي والمعنوي من الصهيونية العالمية والرأي العام العالمي بتصوير اسرائيل انها ضحية الاعتداءات العربية ، وانه ليس أمامها الا الرد بقوة للمحافظة على كيانها وارواح سكانها ·

موقف العرب

أما في الجانب العربي فلم يكن هناك أي رد فعل عسكري على اعتداءات اسرائيل من أي من دول المواجهة ، وبقيت قواتها تلتزم الخنادق وتقاتل في مواقعها اذا اعتدي عليها ، وهذا خطأ عسكري فادح · ويقول الماريشال مونتغمري عن مثل هذه الحالة : انها تُولّد لدى القوات المدافعة عقلية الخنادق،ويطلق الماريشال عليها (عقدة ماجينو) نسبة الى خط ماجينو الشهير الذي اقامته فرنسا على حدودها مع المانيا في الثلاثينات من هذا القرن ، وعولت واعتمدت عليه كثيرا لحمايتها ، حيث تمركزت في تحصيناته حوالي ست وعشرين فرقة ، وقد ألقت هذه الفرق السلاح ، عندما قامت الارتال الالمانية المدرعة بالالتفاف خلفه بعد الاختراق العظيم للجبهة الفرنسية الذي وقع في شهر أيار ١٩٤٠ في منطقة (سيدان) ·

لم تقم الدول العربية بتطبيق ميثاق الضمان الجماعي الذي أصبح نافذ المفعول منذ عام ١٩٥٢ ، ولم تقم أي دولة عربية سواء منفردة أو مجتمعة بالرد على اعتداءات اسرائيل · ولكن دول المواجهة حاولت عام ١٩٥٥ عن طريق اجتماع رؤساء لجان الهدنة العرب ـ حاولت الاتفاق على استراتيجية موحدة ، وذلك عن طريق اعتبار الاعتداء على أية دولة عربية اعتداء على جميع الجبهات المتاخمة لاسرائيل ، يقتضي الرد عليه من الجميع ، ولكن قرارات رؤساء لجان الهدنة لم توضع موضع التنفيذ ولو مرة واحدة ، لعدم وجود التفاهم والوفاق السياسي في الجانب العربي ، أو لعدم الاتفاق على الحد الأدنى من استراتيجية موحدة ·

وفي ٢٨ شباط ١٩٥٥ ، قامت اسرائيل باعتداء كبير على مركز للجيش المصري في غزة أوقعت في رجاله اصابات كثيرة ، وقد شدّ هذا انتباه القيادة السياسية في مصر الى ضرورة الحصول على السلاح من أي مصدر متاح ، وطلبت السلاح من الغرب ، وبعد عدة اشهر من المماطلة لم تحصل على غايتها ، فكسرت احتكار السلاح بصفقة الاسلحة الشرقية في خريف عام ١٩٥٥ ·

وابتدأت من ربيع عام ١٩٥٦ أخذت مصر ترد على غطرسة اسرائيل ، بتدريب مجموعات من الفدائيين الفلسطينيين وتسليحهم ، وقامت هذه المجموعات بغارات جريئة مدمرة وصل بعضها الى ضواحي تل ابيب ، مما جعل الذعر والهلع يسودان المناطق الجنوبية من اسرائيل ، وهجر بعض سكان المستعمرات الحدودية بيوتهم في الليل ليناموا في مناطق داخلية اكثر امنا ٠ ولم تجروء اسرائيل على القيام بالرد على مصر ، وأخذت تتحين الفرص حتى جاء دورها كمخلب قط في العدوان الثلاثي على مصر مع بريطانيا وفرنسا في خريف عام ١٩٥٦ ٠

دروس مستفادة من هذه الفترة

١ ــ الاستفادة من الهدنة

كانت الهدنة الدائمة تعني استمرار حالة الحرب من الناحية القانونية ، والجانب الذي استغل هذا الوضع للحصول على المكاسب ، كان الجانب الاسرائيلي فقط ، فتم الاستيلاء والسيطرة على المناطق المجردة من السلاح وتحقيق الأهداف التي كان يتوخاها من عمليات العدوان والمذكورة آنفاً ٠

كان الجانب العربي يلجأ دائما الى رفع الشكاوي الى لجان الهدنة المشتركة أو الى مجلس الأمن الدولي ، وكانت النتيجة في معظمها (لوم اسرائيل) التي لم تكن تكترث ولا تأبه لقرارات اللوم والتنديد ، وكلما حققت اسرائيل عملية ناجحة كان مؤيدوها يناقشون ويتعللون بأن حالة الحرب لا تزال قائمة بين الدول العربية والدولة اليهودية ، وتذهب هذه الدولة بالمكاسب التي لا تردها قرارات تأييد الحق العربي ، ويلزم الحق في جميع العصور القوة لكي تحميه وتصونه من اعتداء الغاصبين ٠

قامت اسرائيل بالغاء لجنة الهدنة المشتركة بينها وبين مصر اثر العدوان الثلاثي (حرب السويس ١٩٥٦) ، وكانت هذه اللجنة قد تألفت بموجب اتفاقية الهدنة الدائمة الموقعة في رودس عام ١٩٤٩ باشراف هيئة الأمم المتحدة ، وكان يرأس كل لجنة مراقب من هيئة الأمم وفيها عضو مصري وعضو اسرائيلي ، وكذلك ألغت اسرائيل باقي لجان الهدنة المشتركة مع الأردن وسوريا ولبنان أثر عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ ٠

والخلاصة ان الهدنة الدائمة كانت مصطلحا مرنا خداعا في السياسة الدولية والحروب الحديثة ، وكأنها كانت معتمدة ليستفيد منها الغزاة للأرض العربية لمواصلة ابتلاعها ، وتخريب الارادة العربية ٠ ولم تقم دولة واحدة من الدول التي اقترحت الهدنة وفرضتها وهي دول رئيسية في هيئة الأمم ، لم تقم حتى بمجرد الاحتجاج على استهتار اسرائيل ونقضها للاتفاقات التي قامت باشراف الأمم المتحدة ٠

٢ ـ ردع العدوان

ان ردع العدوان ليس شيئا جديدا في العلاقات الدولية ، والبادىء ، بالعدوان يحسب ويقارن بين الخسائر والمغانم التي ستنجم عن عدوانه ، ولو ردت الدول العربية سواء بصورة منفردة أو مجتمعة على غارات اسرائيل الانتقامية بغارات مماثلة على المستوطنات اليهودية ومراكز قواتها عبر خط الهدنة لاضطرت اسرائيل الى عمل حسابات دقيقة قبل كل عدوان ، واذا كانت ستقوم بعدوان اكبر لاحق ردا على ذلك ، فستدرك ان الرد العربي سيكون مساويا على الأقل لما ستفعله وربما زاد على ذلك ٠

وفي الفترة ما بين عام ١٩٤٩ و ١٩٥٦ لم تكن اسرائيل قادرة على الرد بحرب شاملة مقابل معاقبتها على الغارات الانتقامية ، ويكون تأثير الرد العربي بغارات انتقامية شديداً على سكانها معنويا وأمنيا ، كما يؤثر على قدوم المهاجرين اليها الى درجة كبيرة ٠ وعليه : ستجد اسرائيل نفسها مضطرة الى التوقف عن الغارات نتيجة الردع المتوقع ، وخير مثل على ذلك ما تعرضت له مدينة اربد بعد حرب عام ١٩٦٧ من قصف مدفعي كل ليلة ، ولما تمكن الأردن من قصف مدينة طبريا بالمدفعية ولمرة واحدة ، توقفت اسرائيل عن قصف مدينة اربد ، ولم تعد الى ذلك ابدا ٠

٣ ـ الدفاع المستكن

ان أحد مبادىء الدفاع أن يكون تعرضيا ، أي ان الجانب الذي يلتزم الدفاع لظروف خاصة ، عليه الاستمرار بتوجيه ضربات هجومية ضد عدوه ، أما على شكل قصف مواقعه بالمدفعية أو ارسال الدوريات ومجموعات اغارة على أهداف معينة منتخبة ، أو القيام بهجمات محلية محدودة ٠ ويجب عدم تعويد القطعات على قضاء فترات طويلة في الخنادق في وضعية الدفاع ، لما لهذا من تأثير على الروح الهجومية والمعنويات ، وعلى القائد أن يبقى متمسكا بمبادأة عدوه حتى لو كان في وضعية الدفاع ٠

٤ ـ التعرض

ان اذكاء الروح الهجومية شيء حيوي للجيوش وأساسي لخوض الحرب ، والمقاتل العربي لا تنقصه الجرأة والاقدام وروح التضحية، ولكن السياسة العربية التي سادت الموقف العربي بعد حرب عام ١٩٤٨ رضيت بالأمر الواقع ، والتزمت بالمواثيق والقرارات الدولية أكثر من هيئة الامم ومجلس الامن ٠ وكانت اسرائيل تقبل هذه القرارات لفترة قصيرة ولا تتقيد بها ، وترمي بها عرض الحائط كلما وجدت فائدة تجنيها من عدوان مهما كان صغيرا ، واستمرت في تطبيق مبدأ التعرض والعمليات الهجومية لتبادىء العرب ، وتبرر ذلك بأبواق دعاية عالمية مدعومة من قوى خارجية وتبرز انتصارها ، بهدف تحقير الذات العربية ٠

حرب السويس

كسرت مصر احتكار السلاح وحصلت على صفقة الاسلحة من الكتلة الشرقية في خريف عام ١٩٥٥ ، مما أوجد خللا في الميزان العسكري في منطقة الشرق الاوسط وخاصة من وجهة نظر الدول الغربية التي كانت تتحكم في مبيعات الاسلحة الى المنطقة وكانت تلك الدول هي المورد الرئيسي للاسلحة ٠

ولم تجرؤ اسرائيل على توجيه غارات انتقامية ضد مصر ردا على غارات الفدائيين التي وجهتها مصر مع بداية عام ١٩٥٦ ، وكانت مصر الثورة تدعم ثورة الجزائر منذ البداية ، ثم جاء تأميم قناة السويس في تموز ١٩٥٦ فتحركت كل من بريطانيا وفرنسا واستعملتا اسرائيل كمخلب قط في العدوان على مصر ، كما وجدت اسرائيل فرصتها في الانضمام الى هذا التحالف ٠

وقعت وطأة حرب السويس على مصر وحدها حيث كانت هدفا متعمدا ، وتضامنت معها بعض الدول العربية تضامنا تاما ، فأعلنت الاردن التزامها بتعهداتها طبقا للاتفاقية العسكرية ـ المصرية ـ السورية ، وتهيأت لدخول الحرب ٠ كما أعلنت السعودية استعدادها لتنفيذ الاتفاقية المصرية ـ السعودية ٠ وأعلنت سوريا التعبئة العامة واستعدادها لتنفيذ التزاماتها ودخول الحرب الى جانب مصر وفق الاتفاقية العسكرية الثلاثية ، ووضعت قواتها العسكرية تحت أمرة القيادة العامة المشتركة ، ولكن انكشاف التواطؤ في الهجوم على مصر بين اسرائيل وكل من بريطانيا وفرنسا جعل مصر تقرر انه لا حاجة لزج هذه الدول في الحرب وقدمت شكرها للدول الثلاث(٥)٠

بعد تأميم قناة السويس اتضح جليا ان بريطانيا وفرنسا تدرسان أساليب مختلفة للاطاحة بالرئيس جمال عبدالناصر واستعادة سيطرتهما على قناة السويس ، وبدأت قوات بريطانية وفرنسية بالتجمع في قبرص ومالطا ، ومع أن الرئيس جمال عبد الناصر وجد من الصعب الاعتقاد بأن أي من الدولتين ستتدخل فعليا في مصر ٠ ولكن احتمال ذلك بقي قائماً في ذهنه بدرجة طفيفة ، لذلك قام بسحب قسم كبير من حامية سيناء الى منطقة الدلتا ليكون مستعدا لمجابهة أي تحرك بريطاني فرنسي ضد القناة٠ وعندما بدأ الهجوم الاسرائيلي يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ كانت القوات المصرية المتواجدة في سيناء حوالي ٣٠ الف رجل ، وهذا يساوي نصف عدد القوات التي تكون عادة هناك(٦) ٠

وحتى مساء يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٥٦ كانت اسرائيل قد أكملت تعبئة قواتها في ثمانية عشر لواء ، وخصصت للقيادة الجنوبية للعمل ضد مصر ٤٥ الف رجل ،وحسب

اتفاق التواطؤ بين دول العدوان الثلاثي كان هدف العملية الاسرائيلية (قادش) خلق تهديد لقناة السويس بمسك الارض المرتفعة الواقعة الى الشرق من القناة ، وفتح مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية ، وخلق انهيار في القوات المصرية في سيناء وبذلك تؤخر احتمال هجوم مصري ضد اسرائيل • وكان الهدف الواضح المعلن عند بدء الحرب هو : تدمير قواعد الفدائيين في قطاع غزة وحدود سيناء •

استهلت اسرائيل العملية باسقاط كتيبة مظليين – الكتيبة الاولى من لواء المظليين ٢٠٢ – على المدخل الغربي لممر (متلا) ويبعد ١٧٠ كيلو مترا من الحدود الاسرائيلية ، وحوالي ٣٠ كيلو مترا الى الشرق من قناة السويس ، وهذا العمل يخلق التهديد للقناة ويعطي الشرارة لتبرير التدخل البريطاني الفرنسي • وبنفس الوقت الذي تسقط فيه كتيبة المظليين ، تتقدم باقي قوة اللواء برا عن طريق الكونتيلا – تمد – نخل ، للاتصال بكتيبة المظليين الاولى في ممر متلا •

وقد صممت هذه العملية على أساس تلبية المطلب الآتي : اذا لم يقم البريطانيون والفرنسيون بتنفيذ دورهم في الاتفاق – وكان بن غوريون حتى الدقيقة الاخيرة في شكوك خطيرة من عدم تنفيذ بريطانيا لدورها – عندئذ يتم سحب كتيبة المظليين من ممر متلا ويفسر الحادث على انه غارة انتقامية ضد نشاط الفدائيين من الحدود المصرية[٧] •

وبعد يومين من بدء اسرائيل للحرب قدمت بريطانيا وفرنسا انذارهما المعروف للطرفين المتحاربين بالابتعاد مسافة معينة عن قناة السويس ، ورفضت مصر الانذار ، وبعدها تدخل الانجليز والفرنسيون بقصف المطارات المصرية تبعها انزال المظليين في مطار الجميل في بور سعيد ، ثم انزال القوات البحرية •

صمدت مصر في وجه الغزاة ، وقررت سحب قواتها من سيناء بعد ان اتضحت نوايا بريطانيا وفرنسا لغزو مصر وعزل القوات المصرية في سيناء ليتم تدميرها •وكان قرار مصر باخلاء سيناء سليما من الناحية الاستراتيجية والعسكرية •

قاتلت القطعات المصرية التي تأخرت لحماية الانسحاب من سيناء قتالا باسلا حيثما اتيحت لها الفرصة ، كما قاتل الشعب والجيش في بور رسعيد لمقاومة الغزاة •

ان الدرس المستفاد من حرب السويس هو ان اسرائيل مستعدة لتكون أداة مع أية دولة تناصب العرب العداء ، وان العدوان على الأمة العربية قد يحصل من دول خارجية وبعيدة عن المنطقة ، وليس أمام العرب والحالة هذه الا الاتفاق على استراتيجية

قومية موحدة لصيانة الامن القومي العربي ، وحماية الارض العربية ودرء العدوان من أي مصدر كان ٠

وبالرغم مما كتب ونشر في الغرب من ان اسرائيل كانت قادرة على احتلال سيناء بدون تدخل بريطانيا وفرنسا ، فلماذا لم تفعل ذلك ؟ ومنذ وصول صفقة الاسلحة الى مصر كان بن غوريون يذكّر وزراءه دائما بضرورة ضرب مصر قبل استيعابها للاسلحة الجديدة ، ولكنه لم يجرؤ حتى وجد الفرصة السانحة مع دولتين عظميين ، وقد ذكر الجنرال دايان في مفكرته عن حملة سيناء ما يلي : (ان اسرائيل كانت أشبه براكب دراجة هوائية ــ بسكليت ــ في صعود ، وقد صادف مرور سيارة نقل صاعدة فتعلق بها) ٠

وتبقى الحقيقة الماثلة للعيان ، هي انه لولا تدخل بريطانيا وفرنسا لما تمكنت اسرائيل من احتلال سيناء بهذه السهولة والسرعة ، ولو لم تسحب القوات المصرية الى غربي القناة لكان على اسرائيل ان تخوض قتالا طويلا ضد عقيدتها الاستراتيجية وعلى خطوط طويلة ممتدة ٠ لقد تم سحب القوات المصرية لمجابهة التهديد البريطاني الفرنسي قبل أو يشتبكوا فعليا بالقوات الاسرائيلية ٠ وجرت معركتان رئيسيتان وجه لوجه في كل من موقع أبو عقيلة وممر متلا صمدت فيهما القوات المصرية ودافعت بنجاح ضد هجمات اسرائيلية شديدة ومركزة(٨) ٠ وقد هيأت كل من بريطانيا وفرنسا الحماية الجوية فوقاسرائيل وقواتها في سيناء ، كما قامتأساطيلهما بحماية شواطئها وتقديم الاسناد الناري ٠

الهـــوامش

١ ـ الحرب والسلام ، عميد أ٠ ح٠ محمد سعد الدين زكي ، ١٩٦٥ ، صفحة ٢١٠

٢ ـ Peace In The Holly Land. J. B. Clubb, 1971 page 314.

٣ ـ نفس المصدر السابق صفحة ٣١٤ ٠

٤ ـ لمزيد من التفاصيل راجع
Bitter Harvest. Palestine 1914 - 1979 Sami Hadawi.

٥ ـ التعاون العسكري العربي ١٩٦٥ ، العميد الركن حسن مصطفى ، صفحة ٥٧ ٠

٦ ـ Elusive Victory, 1979, Dupuy, page 146.

٧ ـ Elusive Victory, 1979, Dupuy, pp. 147 -148.

٨ ـ Elusive Victory, 1979, Dupuy, pp. 215 - 216.

الفصل الرابع

حرب حزيران ١٩٦٧

انسحبت اسرائيل من سيناء وقطاع غزة في ربيع عام ١٩٥٧ ، وبذلك انتهت ذيول حرب السويس · وقد شهدت منطقة الشرق الاوسط احداثا مثيرة خلال السنوات العشر التي تلت حرب السويس حتى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وكان أهم هذه الاحداث قيام الوحدة بين مصر وسوريا في بداية عام ١٩٥٨ وبين الاردن والعراق وانفكاك الوحدتين حتى عام ١٩٦١ ، وأخيرا محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق عام ١٩٦٣ · وكانت الوحدة بين مصر وسوريا تشكل قاعدة قوية لبداية الوحدة الكبرى ، وأي دولة عربية أخرى تنضم لهذه الوحدة ستجعل قيام دولة كبرى وقوة عظمى أمرا قائما في الشرق الاوسط ·

ان مجرد تصور بن غوريون لقوة مصر وسوريا مندمجة حرمه النوم ، وجسد أمام ناظريه صورة مرعبة لنهاية الدولة اليهودية ، كما انتهت الدولة الصليبية عندما أطبقت عليها قدرات مصر وقدرات سوريا على يد صلاح الدين الايوبي حيث وجه اليها ضربة قاصمة ، ولو تعرضت اسرائيل لضربة عسكرية منسقة من دولة الوحدة فيما بين ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ لامكن تحجيم اسرائيل وفرض الارادة العربية عليها في ذلك الوقت ، ولما كانت وقعت حرب حزيران ١٩٦٧ ·

صحيح ان حماة اسرائيل لن يسمحوا بازالتها تماما، واذا هبوا لنجدتها فسيحتاج وصولهم الى بضعة أيام تكون فيها الضربة السريعة القوية قد أعطت ثمارها ·

كانت التصورات الاستراتيجية والاجتهادات في تلك الفترة ترى تأجيل الضربة حتى الوصول الى وحدة أكبر ، أو بناء الوحدة القائمة وتكاملها اقتصاديا وعسكريا وعلى كافة الصعد ، وان الوقت في رأي المجتهدين يعمل لصالح الامة العربية ، وقد تبين خطل هذا الرأي ، لأن اسرائيل تتربص دائما بالأمة العربية ، وتتربص من ورائها قوى عالمية أيضا وتدعم تربص اسرائيل ، وحتى لو لم يكن لاسرائيل وجود في المنطقة لقامت تلك القوى العالمية بفعل كل ما يمكن لضرب الوحدة وتقويض دعائمها ، لأن تلك القوى تريدكم يا عرب أن تبقوا على حالكم الذي أنتم عليه منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ومثل هذا الوضع هو المثالي والمفيد لمصالح تلك القوى·

القيادة العربية الموحدة

بعد فكاك الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١ تنفست اسرائيل الصعداء ، كونها خرجت من فكي كسارة البندق ، كما كانت تشير الى تخوفها من قيام جيش الوحدة بالهجوم عليها من الشمال والجنوب في وقت واحد وبخطة واحدة •

وفي عام ١٩٦٤ بدأ العمل العربي الموحد يتم من خلال مؤتمرات القمة ، بعد فترة خلافات حادة فدعا الرئيس جمال عبد الناصر الى مؤتمر القمة الاول حيث عقد في القاهرة من ١٣ ـ ١٧ كانون الثاني ١٩٦٤ ، وتم الاتفاق على عدة مسائل عربية هامة واتخذ قرارات حيوية ، كما جرى تشكيل لجنة من ممثلين عن الملوك والرؤساء لمتابعة تنفيذ القرارات •

كان انشاء القيادة العربية الموحدة أهم مظهر على الصعيد العسكري انبثق عن مؤتمر القمة الأول ، وعيّن الفريق أول علي علي عامر قائداً عاما لهذه القيادة ، وكان قائدا قديرا وحصيفا لديه تجربة عسكرية ممتازة شملت تجارب الخدمة الفعلية في الميدان والاشتراك في الحروب ، وتحصيل العلم العسكري من أعلى المستويات العالمية ، والتحق بالقيادة الموحدة مجموعة من الضباط الاكفاء من البلاد العربية لاملاء الشواغر في هيئة الركن كما قررت في مؤتمر القمة ، وكانت أكبر المجموعات من الضباط تتألف من مصر والاردن وسوريا والعراق والسعودية ولبنان ، وأرسلت بعض الدول العربية الاخرى ضابطين أو ضابطا واحدا ليمثلها في تلك القيادة[1] •

ثم عيّن الفريق عبد المنعم رياض رئيسا لاركان القيادة الموحدة ، وكان ضابطا لامعا وديناميكيا ، وبعد ذلك باشرت القيادة الدراسة والتخطيط الموحد لأول مرة في تاريخ العرب الحديث ، وتم وضع الخطط والدراسات الوافية بناء على التوجيهات الصادرة عن مؤتمرات القمة وتوجيهات القائد العام للقيادة ، وذلك خلال عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ وشملت خططا دفاعية رئيسية وبديلة لمجابهة الاحتمالات المتوقعة مع العدو واعماله الممكنة •

وكانت الجامعة العربية قد وضعت مشاريع لتحويل مياه روافد نهر الاردن منها قسم عبر الاراضي السورية ليصب في نهر اليرموك ، وقسم آخر في الاراضي اللبنانية ليصب في نهر الليطاني ، وكانت هذه التدابير رداً على تحويل مياه نهر الاردن من قبل اسرائيل الى الشمال من بحيرة طبريا لسرقة المياه العربية ، وكان المشروع الاسرائيلي يقترب من مراحله النهائية عام ١٩٦٤ ، وقامت القيادة الموحدة بوضع الخطط الدفاعية لحماية مشاريع التحويل العربية ، وتحديد دور كل دولة عربية في

الرد على اسرائيل اذا قامت بعدوان على أية دولة من دول المواجهة ،كما هيأت الدراسات اللازمة عن القدرات العربية وقدرات العــدو في ذلك الوقــت لعرضها مع التواصي اللازمة على مؤتمرات القمة القادمة لاتخاذ القرارات فيما يتعلق بتهيئة مسرح العمليات في دول المواجهة ، وما يتطلبه من انشاء القواعد الجوية والطرق ، وكذلك طرق تقرب القوات العراقية والسعودية الى دول المواجهة عند عملية الحشد ، وزيادة حجم قوات بعض الدول العربية وشراء الاسلحة المطلوبة ، وسار العمل قدماً وبصورة جيدة، وأخذت القوات العسكرية العربية تنمو على ضوء خطط القيادة الموحدة وقرارات مؤتمرات القمة ومتابعة تنفيذ تلك القرارات ٠

وفي صيف عام ١٩٦٥ جرى أول تقدير موقف لعمل تعرضي شامل يمكن تنفيذه اذا أكملت دول المواجهة ودول الخط الثاني انجاز بعض أعمال معينة مطلوبه تقررت في مؤتمرات القمة ، وتبين أن الخطة التعرضية يمكن تنفيذها في أي وقت بعد بداية عام ١٩٦٨ ، لان الأعمال المطلوبة لن تنجز قبل هذا التاريخ ، وقد عرض هذا التقدير على الملوك والرؤساء في مؤتمر القمة الثالث الذي عقد في الدار البيضاء من ١٢ ــ ١٧ ايلول ١٩٦٥ ٠ وكانت هيئة العمليات في القيادة الموحدة قد أشارت على قائد عام القيادة الموحدة آن تجري دراسة هذا التقرير في اجتماع يقتصر على الملوك والرؤساء فقط ، وان توزع نسخة لكل منهم عند بداية الاجتماع ثم تسترد عند نهايته ، وذلك حفاظا على المكتومية ومنع تسرب المعلومات عن فحوى هذا التقدير ٠

سارت أعمال القيادة العربية الموحدة بشكل جيد خلال عامي ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ ولكن الخلافات العربية أخذت تبرز وتقوى في بداية عام ١٩٦٦ وكان لذلك انعكاسات خطيرة على تنفيذ مقررات الملوك والرؤساء ، وكذلك على خطط وتوجيهات القيــادة الموحدة نفسها ، فصارت تواصي القيادة توضع على الرف ، وسيطرت على الموقف الخلافات بين الدول الرئيسية المشتركة فيها ، مما سبب الشلل لخططها وتوجيهاتها، ولما بدأت حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ كان دور القيادة العربية الموحدة ، قد أصبح معطلا ٠

دروس من القيادة العربية الموحدة

كان تعطيل دور القيادة العربية الموحدة منذ بداية عام ١٩٦٦ ضربة للتعاون العسكري العربي في شكله الجديد ، ولم يستفد العرب من المحاولات التي تمت في الخمسينيات مثل ميثاق الضمان الجماعي ، والاحلاف الثنائية والثلاثية والقيادات المشتركة ، واستمر دور القيادة الموحدة معطلا خلال حرب الخامس من حزيران وكان السبب الرئيسي هو الفرقة العربية التي سادت الموقف قبل تلك الحرب ٠

وفي اعتقادي ان الحل الامثل للتعاون العسكري العربي في غياب الوحدة السياسية ، هو ايجاد قيادة عربية موحدة لأي عدد من الدول العربية التي ترغب في التعاوو لحماية أمنها الوطني ، على أن يعطى قائد عام القيادة السلطة للسيطرة على الجيوش ، والسلطة على التنفيذ وتوضيح التشكيلات الكبرى داخل الجبهة من مستوى الفرقة أي أن يأمر بتحريك الفرقة الفلانية لتتمركز في منطقة معينة ، وان ينص على ذلك في واجباته من قبل ملوك ورؤساء الدول المنضوية تحت لواء القيادة ٠

لقد مارست القيادة الاتحادية بين مصر وسوريا درجة جيدة من الانجازات في التحضير لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ونجحت في أمور كثيرة ، الا انها على الاغلب لم تكن قادرة على السيطرة وادارة عمليات تشترك فيها دول عربية أخرى ، وعليه تبرز الحاجة الى وجود قيادة عربية موحدة ، أما اذا توحد أي عدد من الدول العربية ، فحينئذ تصبح جيوش هذه الدول تحت قيادة قائد واحد ، يمارس القيادة الفعلية واصدار الاوامر والقرارات لها جميعا ، ويكون ولاء هذه الجيوش من الناحية القومية لدولة الاتحاد ممثلة في القائد العسكري الذي يتولى قيادتها مباشرة ٠

كان هناك خطأ واضح في السياسة العربية من حيث تعاونها مع القيادة الموحدة، فكانت قيادات الجيوش المرؤوسة تتجاوب بكل تعاون مع توجيهات القيادة الموحدة ما دام التفاهم العربي سائدا ، وعكس ذلك اذا حدثت لحظات من سوء التفاهم ٠ لذلك من الضروري ايجاد صيغة معينة تحمي القيادة من التوترات السياسية ، وعليها أن تمضي في عملها ضمن استراتيجية محددة لحماية الامن القومي العربي ، وقد عودتنا تجارب الخلافات العربية حتى التي وصلت الى القطيعة الكاملة والصدام المسلح ، انها شيء عابر مؤقت وسرعان ما تعود المودة والاخوة فيما بينها ٠

أخذ الموقف يتصاعد يوميا في الشرق الاوسط منذ بداية شهر أيار ١٩٦٧ ،ويوم ١١ أيار اتهم ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل سوريا بحوادث تسلل وعمليات فدائية داخل فلسطين المحتلة ، مع تهديد صريح بالانتقام ، وتبع ذلك تهديدات من القادة الاسرائيليين موجهة الى سوريا ٠

وبعد ذلك بايام قليلة أشارت الانباء الاذاعية والصحفية الى وجود حشود عسكرية اسرائيلية على الجبهة السورية ، وكان الجانب السوفيتي هو الذي أخبر عن هذه الحشود ، ونفت اسرائيل ذلك ولا يعرف بالتحديد ماذا كانت النوايا السوفياتية من وراء الحملة الاعلامية عن الحشود الاسرائيلية ٠

وأمام هذا الموقف قامت مصر باعلان حالة الطوارىء صباح يوم ١٦ ايار ١٩٦٧، وأخذت تدفع بقواتها الى سيناء ، ثم قررت اخراج قوة الطوارىء الدولية التي كانت ترابط في سيناء منذ حرب السويس ١٩٥٦ ، وتبع ذلك اغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية ٠

كان دور القيادة العربية الموحدة معطلا خلال عام ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، وكان التعاون العسكري العربي في الايام القليلة الاولى التي سبقت حرب حزيران ، يتمثل في العودة الى الاتفاقات الثنائية والثلاثية ، فكان هناك اتفاق ثنائي بين مصر وسوريا منذ نهاية عام ١٩٦٦ ، وفي يوم ٣٠ أيار ١٩٦٧ وصل جلالة الملك حسين الى القاهرة وبرفقته رئيس الوزراء السيد سعد جمعه واللواء الركن عامر خماش رئيس الاركان ، وجرى اجتماع فوري مع القيادة المصرية وتم الاتفاق والتوقيع على معاهدة للدفاع المشترك بين مصر والاردن ، وقد انضم العراق فورا الى هذه لاتفاقية بمحادثة هاتفية من الرئيس عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية العراقية ، وأخذ العراق يرسل قواته الى الجبهة الاردنية ٠ وكانت القيادة السياسية بين مصر والعراق قد اجتمعت يوم ٢١ أيار وقررت مساهمة العراق بارسال قوة برية وطائرات للاشتراك مع الجيش المصري في سيناء ٠

وصباح يوم الخامس من حزيران كان لواء آلي من الجيش العراقي يتحرك رتله على طريق صويلح ــ السلط ــ وادي شعيب ، وقد دخل الاردن صباح يوم ٤ حزيران بينما تتحرك ارتال تشكيلات عراقية آخرى على امتداد الطريق بين بغداد والاجفور ٠

وفي يوم ١ حزيران وصل الفريق الركن عبد المنعم رياض الى عمان لتأسيس وقيادة مركز القيادة المتقدم ، المنبثق عن القيادة المشتركة بين الدول العربية المتحالفة وهي مصر والاردن وسوريا والعراق ٠ وعندما نشبت الحرب يوم الخامس من حزيران ، لم يكن قد تم وضع خطة موحدة لعمل القيادة المشتركة والجيوش العربية التابعة لها ولم يكن هناك تنسيق فعال بعد[٢] ٠

وخلال الايام العشرة الاخيرة من شهر أيار ١٩٦٧ ، قامت اسرائيل بتعبئة قواتها ووضعت الخطط اللازمة لخوض الحرب ومبادأة العرب بها وكانت القوة المعبأة العاملة هي[٣] :

اسرائيل	مصر	سوريا	الاردن
٢٥٠٫٠٠٠ شخص	٢١٠٫٠٠٠ رجل	٦٣٫٠٠٠ رجل	٥٥٫٠٠٠ رجل

وهذه الارقام تقريبية حيث لم يكشف أي طرف النقاب عن الارقام الحقيقية بصورة رسمية مؤكدة ، وكان لدى الجانب العربي تفوق في عدد الطائرات والدبابات وقطع المدفعية من مختلف الانواع ٠

لا أرى ضرورة لسرد احداث تلك الحرب فهي معروفة وقد كتب عنها الكثير ، ولكن ابراز العوامل الرئيسية التي اعتمدتها اسرائيل لخوض تلك الحرب يفيد في التحليل النهائي ٠ لقد اعتمدت اسرائيل على ضرورة تحقيق العوامل التالية :

ا ـ التعرض والمبادأة بشن الحرب ٠

ب ـ المفـاجأة ٠

جـ ـ الحصول على التفوق الجوي في الساعات الاولى للحرب ٠

د ـ السرعة في انجاز العمليات بشكل حاسم وانهاء الحرب ٠

وبناء على قاعدة في الفكر العسكري الاسرائيلي هي : (ضرب العدو الاقوى أولا وبعدئذ يخضع الباقون) ٠ لذلك كانت الخطة الاسرائيلية تقضي بحشد أكبر قوة على الجبهة المصرية أولا ، باستغلال التفوق في قابلية الحركة ، لتطويق وتدمير القسم الاكبر من القوات المصرية المتواجدة في سيناء ، وتكون المناورة معتمدة على وضعية انفتاح القوات المصرية ، واعتبار الطرق والمحاور الرئيسية في سيناء ، وهي : المحور الساحلي رفح ـ العريش ـ القنطرة ، ثم المحور الاوسط أبو عقيلة ـ تقاطع الطرق الهام باتجاه الاسماعيلية ٠ لذلك قرر العدو ضرب الجبهة المصرية أولا ، مع قبـول مخاطرة قرب القوات السورية من شمالي اسرائيل واحتمال قيامها باختراق في منطقة وادي الحولة ، فقرر العدو التزام الدفاع في الشمال بوضع قواته هناك في أوضاع دفاعية ، ولم يأخذ العدو في حسابه احتمال قيام أي تعرض ضدهم من الجبهة اللبنانية أو أي تهديد خطير من هناك ٠

وكانت الجبهة الاردنية بحدودها المسيطرة على السهل الساحلي تشكل أعظـم خطر مباشر على قلب اسرائيل ، لذلك جرى تخصيص قوات اسرائيلية كافية لمجابهة هذا الموقف ، مع مرونة في الخطة تسمح بتحويل تشكيلات كانت مخصصة في الاساس للعمل في سيناء في مراحل لاحقة ، وبقيـت متمركزة في المنطقـة الوسطى ، وكان الاحتياطي العام للقيادة الاسرائيلية متمركزا أيضا ضمن المنطقة الوسطى ، ويتألف من قوة مدرعة وآلية كبيرة ٠

شنت اسرائيل الحرب يوم الخامس من حزيران بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية المصرية ، وبنفس الوقت ، بدأت قواتها البرية عملياتها على الجبهه الجنوبية ، وتمكنت في أول ساعتين من تدمير معظم الطيران المصري وشل فاعليته ، ثم تدمير القوة الجوية الاردنية التي قامت بغارات ناجحة على أهداف داخل فلسطين المحتلة مثل مطار ناتانيا ومطار اللد ، قبل أن يركز العدو زخم قواته الجوية عليها ٠

أخذ العدو يركز هجماته على الجبهتين المصرية والاردنية مع تثبيت الجبهة السورية ، فتفرغ طيرانه بعد احراز السيادة الجوية المطلقة ، لمساندة قواته البرية ، وضرب احتياطيات القوات العربية وخطوط مواصلاتها ومناطق تحشدها ، ومرابض وحدات المدفعية ، وتمكنت اسرائيل في حرب خاطفة من تحقيق العناصر التي اعتمدتها لخوض الحرب والمذكورة آنفا ٠

أسباب خسارة العرب والدروس المستفادة

تميزت هذه الحرب بظاهرتين بارزتين الاولى : انزلاق العرب الى الحرب دون ان يكون لديهم الاستعداد أو النية لبدء الحرب ، والثانية : عملية الخداع السياسي الذي قامت به الولايات لمتحدة ٠

كانت القيادة السياسية في مصر تتحين الفرص المناسبة للتخلص من قوة الطوارىء الدولية التي تواجدت في شبه جزيرة سيناء اثر حرب السويس ، وتعتبر استمرار بقائها انتقاصا للسيادة القومية وكانت الخلافات السياسية العربية تجد في قوة الطوارىء الدولية مادةلتوجيه اللومللقيادةالمصرية كلما دعت الحاجة ، وقامت مصر بحشد قواتها في سيناء لردع اسرائيل عن تنفيذ تهديداتها الموجهة الى سوريا ، وكانت هناك اتفاقية ثنائية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا منذ خريفعام١٩٦٦، ولكن عملية التنسيق بين الدولتين في المجالات الدفاعية لم تتعد التخطيط النظري ، وقد اشتملت على خطط بديلة دفاعية ووقائية من ضمنها قيام احدى الدولتين بهجوم جوي على مطارات العدو في حالة عدوانه على احداهما ، ولم تنفذ آي من تلك الخطط عندما حان الوقت لتنفيذها(٤) ٠

أما التقارير الواردة من موسكو عن الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا ، فيقول الفريق محمد فوزي في الصفحة ٧١ من مذكراته عن حرب الثلاث سنواتمايلي: « في ١٩٦٧/٥/١٤كلفني المشير عبد الحكيم عامر بالسفر الى دمشق في مهمة للتحقيق

ومعرفة مدى المعلومات التي وصلت من الاتحاد السوفيتي ودول أخرى عن الحشد العسكري الاسرائيلي على حدود سوريا ٠

سافرت فعلا الى دمشق في اليوم نفسه ، ومكثت ٢٤ ساعة تفقدت فيها قيادة جبهة سوريا ، كما سألت المسؤولين العسكريين في قيادة الاركان والجبهة ، عن صحة المعلومات الخاصة بحشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية ، وكانت النتيجة انني لم أحصل على أي دليل مادي يؤكد صحة المعلومات بل العكس كان صحيحا ، اذ انني شاهدت صورا فوتوغرافية جوية عن الجبهة الاسرائيلية ، التقطت بمعرفة الاستطلاع السوري يوم ١٢ و١٣/٥/١٩٦٧ فلم الاحظ أي تغير للموقف العسكري العادي » ٠

أما اسرائيل فقد نفت وجود الحشد العسكري ودعت السفير السوفيتي في ثلاث مناسبات أيام ١٢ و١٣ و٢٩ أيار لزيارة الجبهة الشمالية والحدود السورية ولكن السفير (تشوفاخين) رفض ، كما أكد تقرير هيئة الرقابة على الهدنة التابعة لهيئة الامم المتحدة المرفوع يوم ١٩ أيار الى السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة ، عدم وجود حشود أو تحركات عسكرية على كلا جانبي خط وقف اطلاق النار(٥) ٠

كان هناك صراع خفي بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ، ووجد الرئيس جمال عبد الناصر نفسه مدفوعا لزج قوات كبيرة في سيناء ضد أحسن تقديراته(٦) ٠ ولا يعرف ماذا كانت التقديرات السوفيتية للقدرات العسكرية للعرب والاسرائيليين ٠ ويقول المؤرخ العسكري الامريكي (ديبوي) : « من الواضح ان السوفييت في عام ١٩٦٧ قد افترضوا ان نوعية وعدد القوات العربية والاسلحة السوفيتية كافية للتغلب على اسرائيل ، ومن المشكوك فيه لغير ذلك أن يكونوا قد ساهموا هكذا مباشرة لاضطراب في الشرق الاوسط كما فعلوا في أيار ١٩٦٧ ، ومن الصعب تجنب الشك أن السوفييت كانوا يتطلعون بشوق كبير لفرصة يرون فيها استخدام أسلحتهم وعقيدتهم في القتال »(٧) ٠

عملية الخداع الامريكي

وجدت اسرائيل وأمريكا ضالتهما المنشودة في الموقف الذي نشأ خلال شهر أيار ١٩٦٧ والفرصة السانحة لتوجيه ضربة قاصمة لجيوش الدول العربية المتاخمة ، للتوسع على حساب الارض العربية وشملت عملية الخداع ما يلي :

في يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ وهو يوم بدء اغلاق مضيق العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية وصلت رسالة من الرئيس ليندون‌جونسون الى الرئيس جمال عبد الناصر تدل على حسن النوايا ، واقترح جونسون‌ارسال‌نائبه (همفري)لزيارة المنطقة ،ويدعو كافة الاطراف الى الالتزام باحترام اتفاقية الهدنة ، وان مصر يمكن ان تعتمد على الولايات المتحدة في معارضتها عند قيام أي عدوان في المنطقة ، أما بالنسبة الى مشكلة خليج العقبة فيمكن عرضها على محكمة العدل الدولية ·

وفي نفس اليوم وصلت رسالة من جونسون الى كوسيغين رئيس وزراء الاتحاد السوفيني ، يقترح فيها التعاون بين البلدين لمواجهة مشكلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ويطلب جونسون من الاتحاد السوفيتي مساعدته في عدم قيام مصر ببدء عمليات عسكرية ضد اسرائيل · وبالفعل استجاب الاتحاد السوفيبي لطلب جونسون فطلب سفيرا الدولتين الأعظم مقابلة الرئيس‌جمال عبد الناصر في وقت‌واحد تقريبا ـ كما طلبا منه عدم البدء في أية عمليات عسكرية ضد اسرائيل ، وقد وعدهما الرئيس عبد الناصر بذلك · بنفس اليوم كان (يوثانت) سكرتير عام هيئة الامم المتحدة يقوم بالمساعي لحل الازمة وعرض مقترحات على الرئيس عبد الناصر الذي استجاب لمقترحات يوثانت أثناء مقابلة في القاهرة ، وكانت مقترحات يوثانت حول الملاحة في خليج العقبة ،وقد سأل يوثانت الرئيس عن تخوف اسرائيل والرأي العام العالمي تجاه نية مصر بدء العدوان على اسرائيل ، وقد رد الرئيس بنفي هذا الأمر ، ووعد بأن لا تقدم مصر على هذا العمل ، وكان جونسون يتوقع رفض الرئيس عبد الناصر لهذه المقترحات ، فلما علم بقبولها تجاهل متابعة جهود يوثانت ·

قام الاتحاد السوفييتي يوم ١٩٦٧/٥/٢٧ بابلاغ الرئيس جونسون بان اسرائيل تخطط للهجوم على مصر ، فقام جونسون بتحويل هذه المعلومات الى اشكول رئيس وزراء اسرائيل ، ولم يتخذ أي اجراء لوقف هذا الهجوم ـ تلبية لروح التعاون ـ والوفاق الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي ·

وفي يوم ١٩٦٧/٦/٢ كان الموقف السياسي قد تصاعد وازاء الضغط الدولي والامريكي بصفة خاصة نجح الرئيس عبد الناصر في اقناع المشير عبد الحكيم عامر في مقابلة بينهما بتغيير خطة الهجوم والالتزام بالدفاع ، والعمل على تلافي الضربة الجوية الاسرائيلية ، وقد قامت المخابرات المركزية الامريكية بتأهيل جونسون لهذه اللعبة الخداعية ، فأكدت له ان مصر ليس لديها خطط للجهوم على اسرائيل ، وان الاخيرة يمكنها كسب المعركة على العرب بسهولة ، وفي نفس هذا اليوم وصلت رسالة

الى اسرائيل من الرئيس جونسون يتعهد فيها بالعمل على صيانة وسلام وحرية اسرائيل ، وصيانة حرية المنطقة باقصى درجة ممكنة من فاعلية المساندة الامريكية، وفي الوقت نفسه قام الرئيس جونسون باخطار الاتحاد السوفيتي للاتفاق على عدم المواجهة بين الدولتين الأعظم في حال قيام الولايات المتحدة بعمل ما في حدود أمن وسلامة اسرائيل ٠

رفض الرئيس جونسون الاقتراح البريطاني بقيام الدول البحرية العظمى بالتدخل بحريا للسيطرة على مياه خليج العقبة ، وكانت الولايات المتحدة قد تعهدت عام ١٩٥٧ بالتزام أمريكي للمحافظة على حق المرور الحر في مضيق تيران ، وعلى ذلك لم يبق الا انفراد اسرائيل بعدوانها على العرب بعلم وتأييد الرئيس جونسون الذي حرصت اسرائيل على الحصول على موافقته أولا ٠

وكان آبا ايبان وزير خارجية اسرائيل في زيارة للولايات المتحدة في أواخر شهر أيار ، وقابل الرئيس جونسون بعد معرفته لوجهة نظر وزارة الخارجية الامريكية والادارة والبنتاغون ، وتأكد من جونسون ان البيت الابيض يوافق على سياسة اسرائيل ويقف الى جانبها ، ويضمن سلامتها وأمنها وقال جونسون لايبان : (ان اسرائيل لن تكون وحدها ، مالم تقرر أن تسير وحدها) وقال أيضا : ان الولايات المتحدة سوف تستخدم أي وسيلة بل كل الوسائل لفتح المضيق ٠

وفي يوم ١٩٦٧/٦/٣ طلب (يوست) مندوب جونسون الشخصي مقابلة وزير الخارجية المصري محمود رياض ليبلغه رسالة جديدة من جونسون يوافق فيها على استقبال زكريا محي الدين نائب رئيس الجمهورية في واشنطن ، وفي اليوم نفسه بدأ العد التنازلي لبدء العمليات الهجومية الاسرائيلية ضد مصر بعد ان اتخذت قرار الحرب وتشكلت وزارة الحرب ، وبدأت عملية التعبئة العامة ، وهو اليوم الذي أكمل فيه جونسون خداعه للعرب ٠ وتأكدت اسرائيل عند اتخاذ قرار الحرب أن لديها أضواء خضراء كثيرة وتأييد ومساعدة من الولايات المتحدة ومن الرئيس جونسون شخصياً ٠

ومن هنا جاء وصف هذا الصراع على لسان الرئيس جمال عبد الناصر ، وهو يشرح الموقف للرئيس هواري بومدين في شهر تموز ١٩٦٧ في القاهرة عندما قال : « ان الامبريالية الغربية تمكنت باسلوبها الخداعي أن تمسك رأس السمكة الكبيرة ــ يقصد مصر ــ وساعدتها في ذلك البيروقراطية العسكرية »(٨) ٠

وكانت أهم الدروس المستفادة من هذه الحرب هي :

أ ـ التضامن السياسي

ان التضامن السياسي بين دول متحالفة لخوض الحرب ولهدف واحد ، أو بين شعوب في منطقة اقليمية واحدة ، هو أول العوامل الهامة لكسب الحرب ، وهو البداية لتوحيد قدراتها وبالتالي توحيد جيوشها ، لقد عجز العرب عن تحقيق الحد الادنى من التضامن بين دول المواجهة أولا ، وباقي الدول العربية المساندة ثانيا ، للاتفاق على توقيت مناسب للمعركة مع اسرائيل ٠

وكان من الواضح ان الاتفاقيات العسكرية الثنائية والثلاثية تمت متأخرة جداً ، ولم تشمل القوى العربية القادرة على التأثير ، وفاجأها العدو قبل ان تبدأ التخطيط لعمل موحد وتنسيق الجهد ، وينطبق على هذه الاتفاقيات المتأخرة المثل الدارج : « العليق عند الغارة لا ينفع » وقد أكد الفريق عبد المنعم رياض في التقرير النهائي عن الحرب في الجبهة الاردنية هذه الحقيقة بالنص الآتي : « ان خوض معركة مع العدو يلزم التنسيق والتحضير المسبق ، والذي حدث هو ان القيادة العربية الموحدة التي كانت قائمة بهذا العمل ، قد شلت أيديها قبل المعركة بحوالي سنة ، وعليه ، لم يكن هناك تنسيق بالمعنى المفهوم ، ولم يكن هناك تجهيز لمسرح العمليات بشكل مقبول والقيادة المتقدمة التي شكلت قبل المعركة بأيام لم يكن في وسعها ان تفعل أكثر مما فعلت ، وهذا خطأ بيِّن في السياسة العربية التي جنت على الجندية العربية قبل ان تجني عليها اسرائيل » ٠

ب ـ وحدة القيادة

يجب ان توحد الجيوش العربية قيادتها انطلاقا من روابطها القومية وخاصة انها تواجه عدواً مشتركاً يتهددها جميعاً ، وتبعاً لذلك فهي تشترك في وحدة الهدف، كما يجب أن تمارس هذه القيادة مسؤولياتها من حيث السيطرة ومتابعة قدرات الجيوش التابعة لها قبل بدء المعركة بمدة طويلة ، وان اختلاف اسلوب القتال أو التنظيم أو التدريب أو السلاح ، لن يكون عائقا أمام خوضها المعارك الجماعية لا سيما وانها تتوخى هدفاً واحداً هو تدمير قوات العدو المسلحة وفرض الارادة عليها ، لقد حاربت شعوب مختلفة اللغة والعرق والدين أحيانا تحت قيادة واحدة في الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولكل منها جيشها بتسليح وتنظيم وتدريب يختلف عن الاخرى ، والحرب العالمية الثانية ليست بعيدة عنا في عمر الزمن ، حيث حاربت الجيوش

الامريكية والانكليزية والفرنسية والكندية وغيرها تحت قيادة الجنرال ايزنهاور أو غيره من قادة الحلفاء ٠

كما يجب أن تُمارس القيادة والسيطرة بشكل تام لتضمن للقيادة الموحدة القدرة على ادارة المعارك ، وان تكون تبعية الجيوش لقيادتها العليا فوق تبعيتها لقيادتها السياسية والعسكرية في الدول التابعة لها ٠

جـ ـ التعرض والمبادأة

استمر العدو بالعمل بهذين المبدأين ولم ينتزعهما الجانب العربي حتى هذه المرحلة ، وذلك في غياب العمل العربي الموحد والاتفاق على استراتيجية قومية رائدها التخطيط والاعداد للمعركة واحتمالاتها في أي مكان وزمان ، وترتيبات التعاون والتنسيق بين الجيوش ، وتجهيز الكيفية التي ستدار بها عملياتها وممارسة التدريب عليها في زمن السلم ٠

د ـ التنظيم وتأهيل القوات المسلحة

اتبع العدو أسلوب الحرب الخاطفة في القتال منذ عام ١٩٤٨ عقيدة قتالية ، ويُحدث هذا الاسلوب ارتباكا عاما في الجانب الآخر أمام سرعة الحركة وعمليات الخرق والتطويق باسناد الطيران ٠ وقد مارس الالمان الحرب الخاطفة بنجاح منقطع النظير في السنوات الاولى للحرب العالمية الثانية ، وأخيراً تمكن الحلفاء بعد تجارب مريرة من ابتكار الاساليب الناجعة لتعطيل هذا الاسلوب على الالمان عن طريق اعداد وتأهيل قواتهم وايجاد تغيرات مناسبة في التنظيم والتسليح والاساليب التعبوية ، وتسليم القادة الاكفاء الذين يتكيفون بظروف المعركة سريعة التغيير ـ تسليم هؤلاء مقاليد المسؤولية ، وكان على الجانب العربي أن يضع الاسس مسبقا لمجابهة عقيدة العدو في الحرب الخاطفة وتعطيلها ٠ لقد حدث ارتباك عام في الجانب العربي نتيجة لتدمير الطيران ، وعلى سبيل المثال ما حدث في سيناء حين قدرت هيئة العمليات المصرية الموقف العسكري بعد الضربة الجوية وخرجت بنتيجة مفادها : ان القوات البرية المصرية قادرة على فرض قتال تعويق على العدو لمدة اسبوع ، وبذلك تجعل العدو يدفع ثمنا باهظا ، ولم يؤبه لهذه التوصية بسبب الارتباك الذي حصل في القيادة العسكرية العليا ، وصدرت الاوامر بسرعة الانسحاب من سيناء ، وبعض هذه الاوامر صدرت عن غير طريق سلسلة المراجع المتبعة ٠

هـ ـ الاستخبارات

أظهرت حرب حزيران ١٩٦٧ قلة الاستخبارات الدقيقة عن العدو في الجانب العربي ، وكان الواجب يقتضي أن تركز الاستخبارات العسكرية وأجهزة مخابرات الدول العربية ، على العدو لتقييم امكاناته ونواياه ، ومعرفة كل حركاته وسكناته أولا باول ٠

لقد كشف الاسرى من طياري العدو الكثير من المعلومات الجديدة والتحضيرات التي كان يقوم بها العدو منذ فترة طويلة للاجهاز على القوات الجوية العربية بضربة مفاجئة ، ولم تكن الاستخبارات والمخابرات العربية تتابع ذلك وتحلله ٠

وقد كانت الطريقة التي استخدم فيها العدو قواته الجوية مفاجئة ، وذلك باستعمال هذا العدد الكبير من الطلعات المتتابعة لكل طائرة وتوفر الطيارين الاحتياط، وخدمة الطائرات وشحنها بالذخيرة ، كل ذلك كان يجري التدريب عليه لفترة طويلة في السابق ، وتتم ممارسته في التمارين ، وأشارت الى هذه تقارير صحفية أجنبية في حينه ، أو ملاحظات وتقارير الملحقين العسكريين الاجانب العاملين في اسرائيل ٠

وأخيرا أشار الفريق محمد فوزي في الصفحتين ٩٥ و ٩٦ من كتابه : (حرب الثلاث سنوات) الى عامل (سوء الفهم) الذي كان أحد أسباب الانسياق نحو الحرب تحت وهم خادع ، وذلك نتيجة الزيارة التي قام بها شمس الدين بدران وزير الحربية المصري الى الاتحاد السوفيتي على رأس وفد ، وعادوا قبل الحرب بحوالي اسبوع ٠ وقد شعر شمس بدران من تصرفات الماريشال (غريشكو) عند توديعه في المطار عندما قال له : « اننا سوف نكون الى جانبكم على الدوام » ، بان ذلك دليل على ان الاتحاد السوفيتي سوف يتدخل سياسيا وعسكريا وشعبيا في صف العرب في صراعهم مع اسرائيل ، وأضاف شمس بدران وجهة نظره الى الموضوع ، بأن هذا التدخل سيكون مباشرا ، ولكن محضر تلك الجلسة سُلِّم الى مكتب الرئيس جمال عبد الناصر في مغلف مكتوم ، ولم يطلع عليه الرئيس الا يوم ١٣/٦/١٩٦٧ بعد انتهاء المعركة ، ولم يجد عبد الناصر أي اشارة أو تلميح الى كلمة (مساعدة مباشرة) أو تدخل عسكري كما روى شمس بدران عقب وصوله مباشرة ، بل أن الحقيقة التي عرفها الرئيس ان قادة الكرملين طلبوا من شمس بدران (عدم تصعيد الموقف) ٠

وأخيراً لم يأخذ الجندي العربي الفرصة في قتال العدو ، وكان هذا الجندي قد أثبت في جميع المعارك السابقة صبره وتحمله مشاق القتال ، بروح الشجاعة والتضحية والاقدام ٠

ومن الدروس الاخرى المستفادة : ضرورة كسب الرأي العام العالمي لما له من وزن وتأثير على مجريات الصراع وبعد نهايته ٠ ثم ضرورة الاحتفاظ وتوخي الهدف الاستراتيجي للأمة مهما طال أمد الصراع ، حيث ان خسارة معركة أو بضع معارك لا ينهي القتال ٠

حرب الاستنزاف

حققت اسرائيل أغراضها على الارض من حرب عام ١٩٦٧ ، ولكنها لم تستطع التغلب على الارادة العربية وتطويعها ، لقد كانت الهزيمة شحنا لارادة جديدة ،ويقول الماريشال فوش : « ان المعركة التي ينتصر فيها الانسان هي المعركة التي يرفض فيها ان يعترف بالهزيمة » ٠ وعلى الفور ظهرت مقاومة العدو من أهلنا في الارض المحتلة ، واشتعلت الجبهتان الاردنية والمصرية تدريجياً بحوادث ضرب العدو ، وهذا ما لم يحدث بعد الحروب السابقة ، ولم يألفه العدو ٠

ومع ان القوات الاردنية فقدت القسم الاكبر منمعداتها ، وتوقفتمصادر التزويد عن امدادها لتركيع الاردن ، الا ان ارادة قتال جديدة في القوات الاردنية كشفت عن نفسها في وجه غطرسة العدو وغروره بالقوة ، واستشاط العدو غضبا لتحطيم الارادة الجديدة ، فصارت الاشتباكات على الجبهة الاردنية يومية ، بينما يرد العدو بعنف على المواقع العسكرية والاهداف المدنية ومخيمات النازحين ٠

بلغت الاشتباكات ذروتها خلال شهر شباط ١٩٦٨وصمم العدو على توجيه ضربة كبرى للقوات المسلحة والمقاومة في منطقة الكرامة ، وفي الساعة الخامسة صباح يوم ٢١ اذار ١٩٦٨ عبرت النهر قوات مدرعة وآلية كبيرة للعدو تسندها نيران هائلة من المدفعية والطيران ، واستمرت المعركة خمس عشرة ساعة متواصلة ، واندحر العدو بخسائر فادحة في المعدات والأرواح ، وترك وراءه بعض المعدات التي عرضت فيعمان ولأول مرة يعرض مثل هذا في عاصمة عربية منذ عام ١٩٤٨ ، وقال الماريشال (جريشكو) وزير الدفاع السوفيتي تعليقا على نتائج معركة الكرامة : « ان صمود الجيش الاردني أمام الهجوم الاسرائيلي يشكل نقطة تحولبالنسبةللجيوش العربية »٠

واستمرت حرب الاستنزاف بعمليات متعددة الاشكال حتى ٨ آب ١٩٧٠ حيث توقف اطلاق النار بقبول الاطراف المعنية مبادرة روجرز ٠

أما الجبهة المصرية فقد شهدت خلال الاشهر القليلة التي تلت وقف اطلاق النار لحرب حزيران ثلاث حوادث هامة هي : معركة رأس العش يوم ١ تموز ١٩٦٧ حيث دحرت القوات المصرية قوة مدرعة اسرائيلية تقدمت بهدف احتلال مدينة بور فؤاد . وقامت القوات الجوية المصرية يوم ١٤ تموز بقصف قوات مدرعة وآلية للعدو، واشتبكت مع طائراته لاول مرة بعد النكسة • وفي يوم ٢١ تشرين أول ١٩٦٧هاجمت الزوارق المصرية المدمرة الاسرائيلية (ايلات) وأغرقتها بضربة سريعة ، ورد العدو بقصف منشئات النفط والمدنيين في مدينة السويس •

وفي ايلول ١٩٦٨ بدأت مصر مرحلة الدفاع النشط ، وبدأت معارك المدفعية عبر قناة السويس ، وقد خطط لهذه المرحلة وادارها الفريق الركن عبد المنعم رياض حتى سقط شهيدا في المواقع الامامية أمام مدينة الاسماعيلية يوم ٩ اذار ١٩٦٩ • وفي شهر اذار هذا ، بدأت مصر عمليات اغارة على مواقع العدو في الضفة الشرقية للقناة ، بهدف تنمية الروح الهجومية في الافراد وتدريبهم على تنفيذ العبور ، واذكاء الروح المعنوية في القوات المسلحة ، وتحطيم معنويات الخصم •

صارت عمليات عبور القوات والاغارة على مواقع العدو تنفذ ليلا ونهارا من مستوى دوريات القتال الى مجموعة سرية ومجموعة كتيبة ، وفرضت على العدو قتالا رهيبا وحصلت على عدد من الاسرى •

كانت ردود العدو قوية وعنيفة سواء في الجبهة أو بعمق الاراضي المصرية ، كما نفذ العدو عمليات خاصة بالعمق ، ولكن هذا لم يوقف العمليات المصرية بل عمل على زيادتها وتنوعها • وقصفت القوات البحرية المصرية مواقع العدو على شواطىء سيناء وقامت الضفادع البشرية بهجومين على ميناء ايلات واغرقت خمس قطع بحرية للعدو •

كانت عملية بناء الدفاع الجوي مستمرة ، وكذلك عملية بناء القوات في دول المواجهة ، وشهد شهر تموز ١٩٧٠ ضربات جوية عنيفة من العدو على المواقع المصرية، وتبين لاسرائيل ان مرحلة استنزاف قواته الجوية تلوح في الافق ، حيث أصيب ودمر له ٢١ طائرة خلال هذا الشهر فقط • وأخيرا توقف اطلاق النار بقبول مبادرة روجرز في ٨ آب ١٩٧٠ وبذلك انتهت حرب الاستنزاف •

التعليـق

العمل التعرضي أو الهجومي هو أحد مبادىء الحرب ، وهو حالة ذهنية تتمثل في التصميم على انتهاز أية فرصة لتدمير العدو ، وكذلك فان أحد مبادىء الدفاع أن يكون تعرضيا ـ هجوميا ـ كانت القوات العربية مضطرة على التزام الدفاع بعد حرب حزيران حيث فقدت الكثير من معداتها ، ولكنها سرعان ما بدأت تضرب العدو باتباع أحد أسس الدفاع الصحيح • وكان هذا الاجراء خلافا لما وقع بعد الحروب السابقة ، اذ كانت تلزم الدفاع المستكن وتأوي الى الخنادق مما ولد لديها ما يسمى بعقلية الخنادق ، وهذا خطأ عسكري واضح •

وقد اشتهر العرب بالعمليات الهجومية في حروب القبائل قبل الاسلام ، وفي غزوات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستمرت الروح الهجومية في حروب الفتح الاسلامي ، مما كان يجلب النصر ، ولا تكسب الحروب الا بالعمليات الهجومية الجريئة • أما اعطاء الفرصة للعدو في حروبنا السابقة معه،ليتفرغ للتدريب والتنظيم والبناء وزيادة قواته وقدراته القتالية بالتزامنا الخنادق ، فهو أحد العوامل التي جعلته يقوى ويشتد ساعده في راحة وهدوء •

لذلك كانت عمليات مقاومة المحتلين التي برزت فور توقف حرب حزيران١٩٦٧، واشتعال حرب الاستنزاف على الجبهات ، والتي أخذت تتصاعد ، كان كل ذلك يشكل ارادة رفض الهزيمة ، وهذا شيء جديد لم يألفه العدو ، وفرض عليه استمرار التوتر والحذر ، وتعب الاعصاب ، بالاضافة الى الخسائر اليومية في المعدات والارواح، والعدو حساس جداً لفقدان الارواح •

كان من الممكن لحرب الاستنزاف ان تجر العدو لحافة الهاوية بادامة الحرب تحت استراتيجية النفس الطويل ، واجراء التنسيق بين الجبهات العربية لتطوير مراحلها ، والانتقال الى الضربات الأشمل والاقوى في جميع الجبهات •

كانت ردود العدو عنيفة دائما نظرا لامتلاكه السيطرة الجوية ، واستمرار تعويضه عما يفقد من أحدث أنواع المعدات ، ولعدم استكمال وسائل الدفاع الجوي على الارض العربية لفرض المزيد من الخسائر في قواته الجوية ، ولكن العدو مع ذلك أخذ يقاسي ويعاني من وطأتها ، وأخيرا توقفت الحرب نتيجة لعوامل دولية وقبول مبادرة روجرز •

كانت الدروس المستفادة في الجانب العربي من هذه الحروب هي :

ا - اعادة الثقة للمقاتل العربي نتيجة عمليات الاغارة والاشتباكات الاخرى واكتساب خبرة القتال وتطعيم المعركة عمليا في الميدان ٠

ب - تقييم جندي العدو وقدراته في الاشتباكات المباشرة وجها لوجه ٠

ج - تحكيم وسائل الدفاع الجوي وتقويتها ، وتزويدها بمعدات أفضل على ضوء التجربة الحاصلة ٠

د - اختبار تحصينات العدو والحصول على معلومات عن دفاعاته ٠

ه - اختبار أساليب العدو وردود فعله ومعرفة نقاط قوته وضعفه ٠

و - ادراك الصعوبات التي سيواجهها المقاتل العربي واتخاذ الاجراءات اللازمة للتغلب عليها أو التوعية بشأنها ٠

كان لهذه الدروس مجتمعة تأثير كبير على عملية التخطيط والاعداد لحرب رمضان٠

الهـــوامش

١ ـ كان المؤلف أحد الضباط الاردنيين الذين انتدبوا للعمل في القيادة العربيـة الموحدة في فرع العمليات ، وشغل منصب ركـن عمليـات الجبهة الوسطى ، وكانت مجموعة الضباط الاردنيين أول من وصل الى القاهرة ، وذلك يوم ١٩ شباط ١٩٦٤ وعددها تسعة ضباط ٠

٢ ـ كتابي ـ الجبهة الاردنية في حرب حزيران ١٩٦٧ صفحة ١٧ ـ ١٩ ٠

٣ ـ ولمزيد من التفاصيل أنظر Elusive Victory, Dupuy, 1978 pages 231 - 235.

٤ ـ حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ / ١٩٧٠ مذكرات الفريق محمد فوزي ـ ١٩٨١ ، صفحة ٤٨ ٠

٥ ـ Elusive Victory, Dupuy, 1978 page 227.

٦ ـ حرب الثلاث سنوات ٦٧ ـ ١٩٧٠ ـ مذكـرات الفـريق محمد فوزي ١٩٨١ صفحة ٣٣ ـ ٣٥ ٠

٧ ـ Elusive Victory, Dupuy, 1978 page 238.

٨ ـ مذكرات الفريق محمد فوزي حرب الثلاث سنوات صفحة ١٤١ ـ ١٤٣ ٠

الفصل الخامس

حرب رمضان

(اكتوبر ١٩٧٣)

جميع الجهود والمحاولات التي بذلت على مستويات عالمية ومحلية لايجاد تسوية سلمية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ باءت بالفشل ، وكانت هذه المحاولات تتلخص فيما يلي :

أ ـ قرار مجلس الأمن الدولي رقم (٢٤٢) تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ٠

ب ـ محادثات الدول الكبرى من ١٦ كانون الثاني ١٩٦٩ الى بداية شهر آب ١٩٧٠٠

جـ ـ مبادرة روجرز ، وزير خارجية أمريكا المقدمة في ٥ حزيران ١٩٧٠ وبموجبها توقف اطلاق النار اعتبارا من ٨ آب ١٩٧٠ ٠

د ـ مبادرة الرئيس السادات للسلام التي أعلن عنها في ٥ شباط ١٩٧١ ٠

سدت اسرائيل كافة السبل ، ومضت في فرض سياسة الامر الواقع ، ومع بداية عام ١٩٧١ ، أخذت القضية طابع اللا حرب واللا سلم ، واتضح من التقارب السوفيتي الامريكي وموقف الردع بينهما ان حالة اللا حرب واللا سلم تلائم أغراضهما ، كما ان اسرائيل اقنعت مؤيديها ان العرب لا يستطيعون التحرك عسكريا ضدها ، وانها اليد العليا في منطقة الشرق الاوسط ، ولا يمكن مفاجأتها ، واستمرت في سياسة تهويد المناطق المحتلة باقامة المستوطنات للمهاجرين في هضبة الجولان ، وقطاع غزة ، والضفة الغربية ، وشبه جزيرة سيناء ، ترسيخا للاحتلال ، وتماديا في قهر الارادة العربية[1] ٠

أمام هذا الموقف اتخذت القيادة السياسية في مصر قرار الحرب لتغيير موازين الموقف السياسي والعسكري في الشرق الاوسط ، وجرى تعيين الفريق أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة اعتبارا من ١ تشرين أول ١٩٧٢ ، وعهد اليه بالتخطيط والتحضير للحرب منذ تسلمه المسئولية ٠ انضمت سوريا الى مصر في قرار الحرب ، وتولى الفريق أحمد اسماعيل قيادة القوات المسلحة لمصر وسوريا اعتبارا من ١٩٧٣/١/١٠ ، فأضاف هذا بعداً جديداً وهو أن تكون الضربة مشتركة وعلى

جبهتين ٠ وباشرت هيئة ركن مشتركة من القيادة العامة الاتحادية الدراسة والتخطيط، ووضع تدابير السيطرة على القوات ٠ واستمر العمل طوال الاشهر التالية من عام ١٩٧٣ ، وفي يوم ٦ أيلول ١٩٧٣ ، أصدر الفريق اسماعيل توجيهاته لتكون القوات المصرية والسورية مستعدة لتنفيذ عملية (بدر) ـ وهو الاسم الرمزي للعملية ـ في ظرف خمسة أيام ابتداء من أول ضوء يوم ١ تشرين أول ١٩٧٣ ٠

وخلال مرحلة التخطيط والاعداد للحرب ، اتخذت كل من مصر وسوريا تدابير الخدعة والمفاجأة على المستويين الاستراتيجي والتعبوي ، وتم اختيار توقيت العملية بدراسة علمية دقيقة لموقف العدو وأرض المعركة وجميع العوامل المؤثرة ٠

ويوم ٣ تشرين أول ١٩٧٣ زار الفريق اسماعيل دمشق واجتمع باللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السوري ، وتم الاتفاق على اللمسات النهائية لعملية (بدر) طبقا للخطة المقررة ٠ وعند الظهر استقبل الرئيس حافظ الاسد الفريق اسماعيل واعتمد له العملية (بدر) لتبدأ بالساعة ١٤٠٥ يوم ٦ تشرين أول ١٩٧٣ ، وبعدئذ عاد الفريق اسماعيل الى القاهرة(٢) ٠

الخطوط الدفاعية والتحصينات

واجهت القوات المصرية لاقتحام مواقع العدو مانعين كبيرين أولهما : وجود قناة السويس كممر دائم يمتد مسافة ١٧٠ كيلو مترا بطبيعة حوافها وعمقها وتياراتها ، والمانع الثاني هو خط بارليف ، ويتألف من التحصينات التي أقامها العدو شرقي القناة ووجود الاحتياطي المتحرك خلف هذا الخط بالعمق ٠ وقد تكلف انشاء خط بارليف حوالي ٣٠٠ مليون دولار ، ويتكون من سلسلة مواقع حصينة عددها اثنان وعشرون ، تضم ٣٣ نقطة قوية وعددا من نقاط المراقبة ٠ كما أقام العدو سدا ترابيا على الحافة الشرقية وبامتدادها يتراوح ارتفاعه من ١٥ ـ ٢٠ مترا لستر تحركاته ٠ يضاف الى ذلك خزانات للمواد الملتهبة يمكن دفعها الى سطح القناة واشعالها لتحرق كل شيء يتحرك فوقها ٠

وامتد هيكل التصميم الدفاعي لمسافة ثلاثين كيلو مترا شرقي القناة ، بمواقع دفاعية متعاقبة محاطة بحقول الالغام ، كما تم تجهيز مصاطب خاصة للدبابات لتحتلها عند بدء القتال بمواقع حاكمة خلف خط بارليف ، وكذلك مواقع القوات الاحتياطية على مستوى القواطع والجبهة ٠

أما على الجبهة السورية فقد أقيمت تحصينات قوية ومواقع دفاعية على غرار خط بارليف على امتداد الجبهة ، شملت حفر خندق مضاد للدبابات والآليات يمتد من سفوح جبل الشيخ حتى ملتقى الحدود الاردنية السورية ، يتراوح عرضه من ٤ ــ ٦ أمتار وبعمق أربعة أمتار ، واقامة ساتر ترابي على الحافة الغربية لهذا الخندق من التراب الناتج عن الحفر • يلي ذلك مواقع دفاعية بالعمـق محاطة بحقـول الالغـام والاسلاك ، ونقاط مراقبة أمامية ، وشبكة من الاجهزة الالكترونية للمراقبة والانذار•

معدات القتال الرئيسية المقدرة

المهيأة للحرب(٣)

	اسرائيل	مصر	سوريا	
القوة العسكرية البشرية	٣١٠ر٠٠٠	٣١٥ر٠٠٠	١٤٠ر٠٠٠	قوات تواجدت
دبابات / فرقة مدرعة	٧	٢	٢	في الميــــدان
مشاة / فرقة آلية	•	٨	٣	
الوية منفصلة	١٨	٢٠	٢١	
دبابات متوسطة	٢ر٠٠٠	٢ر٢٠٠	١ر٨٢٠	
ناقلات جنود مدرعة	٤ر٠٠٠	٢ر٤٠٠	١ر٣٠٠	
مدفعية (فوق ١٠٠ ملم)	٧٥٠	١ر٢١٠	٦٥٥	
قاذف صواريخ مزدوج	•	٧٠	٢٠	
مدافع هاون (فوق ١٠٠ ملم)	٣٧٥	٣٥٠	٣٠٠	
قواذف صواريخ أرض / أرض	•	٣٠	١٢	
قواذف صواريخ أرض / جو	٧٥	٨٨٠	٣٦٠	
مدافع مقاومة الطائرات	١ر٠٠٠	٢ر٧٥٠	١ر٩٠٠	
مقذوف ضد الدروع	٢٨٠	٨٥٠	٣٥٠	
صواريخ ضد الدروع	٦٥٠	٢ر٥٠٠	٢ر٨٠٠٠	
مدافع ضد الدروع	•	١ر٣٠٠	٩٠٠	
الطائرات المقاتلة	٥٥٠	٥٠٠	٢٥٠	

ثم وضع خطط مفصلة وتطبيقات عملية للتغلب على مشاكل عبور القناة ، وكان أولها ابطال مفعول خزانات الوقود التي هيأها العدو لاشعال سطح القناة باللهب ، ونفذت ذلك دوريات مصرية في الليلة السابقة دون أن يشعر بها العدو ، والمشكلة الثانية هي فتح الثغرات في الساتر الترابي غربي وشرقي القناة ، واعتمدت طريقـة التجريف بعد أن ثبت نجاحها ، باستخدام المياه المندفعة تحت ضغط عال في ازالـة

رمال السواتر ، أما المشكلة الثالثة فكانت تتطلب تأمين رؤوس جسور برجال المشاة أولا ليتمكن سلاح الهندسة من العمل • أما الرابعة فكانت متطلبات تجهيز المشاه بالمعدات ليتمكنوا من تسلق الساتر الترابي والصمود من ١٢ ـ ٢٤ ساعة الى حين اكتمال عبور الدبابات والاسلحة الثقيلة • لذلك جرى تجهيز المشاة بسلالم،وعربات تجر باليد لحمل الاسلحة والذخيرة ، وتسليحهم بأسلحة مضادة للدبابات والطائرات ولا سيما الصواريخ الخفيفة •

الحرب

استطاعت التدابير المحكمة التي اتخذتها كل من مصر وسوريا لخداع العدو أن تخفي الدلائل والنوايا لشن الحرب والمفاجأة في التوقيت ، ففي الايام الاخيرة من شهر أيلول وردت تقارير وجرت دراسات استخبارية عن الموقف من قبل قيادة العدو عن احتمال قيام العرب بالهجوم ولم تعتبرها الاستخبارات الاسرائيلية ، جرى اجتماع للوزارة الاسرائيلية يوم الجمعة ٥ تشرين أول وقبل أن يتفرق الوزراء لعطلة نهاية الاسبوع ، أكد لهم مدير الاستخبارات العسكرية أن وقوع حرب وشيكة هو أمر غير مرجح •

وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٦ تشرين أول اتصل مدير الاستخبارات العسكرية الجنرال زعيرا برئيس الاركان الجنرال ديفيد اليعازر ، وأخبره ان الدليل السابق ضد هجوم عربي كان مضللا • وانه من الواضح الان بدون خطأ أن جيوش الدولتين العربيتين مصر وسوريا ستبدأ الحرب في هذا اليوم ، وقد خططتا ليبدأ الهجوم بالساعة السادسة من مساء ذلك اليوم(٤) •

وبتما الساعة ١٤٠٥ من يوم السبت ٦ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٧٣م الموافق العاشر من رمضان المبارك ١٣٩٣ هـ • قامت مائتان وخمسون طائرة مصرية ، واندفعت الى أعماق شبه جزيرة سيناء ، وباشرت ضربة جوية مركزة على الاهداف المقررة ، واشتملت على مطارات وقواعد جوية ، ومواقع صواريخ هوك ، ومراكز القيادة والسيطرة والاعاقة الالكترونية ، ومحطات رادار ، ومواقع المدفعية بعيدة المدى ، ومناطق ادارية ، ومناطق تحشد احتياط العدو ، وكافة الحصون شرقي مدينة بور فؤاد •

وبنفس التوقيت قامت مائة طائرة سورية،وانقضت على أهدافها المقررة في هضبة الجولان ومن ضمنها : مواقع القيادات ومراكز الاتصال ، والمواقع الدفاعية والحصون

على امتداد الجبهة وبالعمق ، ومواقع تحشد الاحتياط • وبنفس اللحظة هدرت نيران أكثر من ألفي مدفع مختلفة العيار على طول جبهة القناة ، بقصف مركز كثيف ، كما هدرت نيران أكثر من ألف مدفع مختلفة العيار في جبهة الجولان ، استمر القصف المدفعي حوالي ساعة ، وأخذت القوات العربية على الجبهتين في اقتحام مواقع العدو •

الجبهة المصرية

تحت ستر النيران نزل ثمانية آلاف من قوات الصاعقة الى القناة بقواربهم المطاطية بهدف اقتناص دبابات العدو واقامة الكمائن على طرق الاقتراب الى القناة لشل حركة دروع العدو ومنعها من التدخل في عملية الاقتحام الوشيكة ، وفي الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجات الاولى لخمس فرق مشاة مصرية وقوات قطاع بور سعيد في اقتحام القناة مستخدمة حوالي ألف قارب مطاط • وفي الساعة ١٤٣٠ ارتفع أول علم مصري شرقي القناة ، وتسلقت القوات الساتر الترابي وبدأت تهاجم مواقع العدو الحصينة وقلاع خط بارليف ، بينما باشرت وحدات سلاح الهندسة بفتح الممرات في الساتر الترابي ودفع معدات التجسير والمعديات الى حافة القناة ، وبدأت العمل في تركيب الجسور والمعديات •

وحوالي الساعة الثامنة مساء تمكنت القوات المصرية من دفع حوالي ثمانين ألف رجل الى شرقي القناة في ١٢ موجة متتالية على مواجهة ١٧٠ كيلو مترا ، واستولت على ١٥ نقطة قوية للعدو واكملت حصار النقط الباقية وأخذت تكتسح دفاعات خط بارليف •

واصلت القوات المصرية عملياتها وتدفقت الدبابات والمدفعية من غرب القناة الى شرقها ، وما أن حل مساء يوم ٧ تشرين أول حتى كانت معظم قلاع خط بارليف قد سقطت ، وأصبح عمق رؤوس الجسور حوالي ثمانية كيلو مترات ، وتمكنت القوات المصرية من تحطيم جميع الهجمات المضادة المحلية التي قام بها العدو •

وخلال يوم ٨ تشرين أول فشلت جميع الهجمات المضادة الاسرائيلية بالدروع من مستوى كتيبة حتى فرقة مدرعة ، وتم تدمير معظم الدبابات ، وقد استغرق تدمير كتيبة المقدم (ياغوري) عشر دقائق ووقع هو نفسه في الاسر ، وقتل جميع اعداد الدبابات ، وقد حلت في هذااليوم اسوأ هزيمة في تاريخ الجيش الاسرائيلي(٥) • ويعود ذلك الى النوعية القتالية الجيدة للقوات المصرية والاداء الجيد طبقا للخطط

الموضوعة سلفا بعناية لمجابهة الهجمات الاسرائيلية المضادة المتوقعة ، لقد فوجئت الدروع الاسرائيلية مفاجأة غير سارة عندما تصدى لها مشاة مصريون منظمون تنظيما جيدا ومسلحون باسلحة مضادة للدروع .

وحتى مساء هذا اليوم أصبحت القوات المصرية شرقي القناة بعمق حوالي عشرة كيلو مترات ، واجتاحت أو دمرت معظم خط بارليف ، وصار حجم القوة المصرية في رؤوس الجسور خمس فرق مشاة وفرقتان مدرعتان ، وبعد ذلك تم توحيد رؤوس الجسور وصارت بعمق حوالي ١٢ كيلو مترا ، وتوقفت العمليات في الجبهة المصرية فيما اطلق عليه « الوقفة التعبوية » من ١٠ ــ ١٣ تشرين أول . وواصلت التعرض شرقا صباح يوم ١٤ تشرين بهدف الوصول الى الطرف الغربي للممرات متلا وجدي بعمق ٣٠ كيلو مترا شرقي القناة . وكان العــدو قد استعاد توازنه بفضل جسر الامداد الامريكي وخاصة الاسلحة الحديثة المضادة للدبابات والدروع والطـائرات . استمرت المعركة طوال هذا اليوم على كافة المحاور دون تحقيق الهدف ، وبنهاية اليوم عادت القوات المصرية الى رؤوس الجسور التي أصبحت بعمق يتراوح بين ١٥ ــ ١٨ كيلو مترا شرقي القناة .

واعتبارا من مساء يوم ١٥ تشرين أول بدأت عملية الخرق الاسرائيلي الى غربي القناة بقوات صغيرة أولا اختبأت بين الاشجار وأخذت تكبر ، وأخذ القتال عند محور عبور القوات الاسرائيلية طوال ليلة ١٦ تشرين أول يدور بعنف ، ودفع العدو زخم قواته الجوية الى تلك المنطقة ، محاولا مع القوات البرية تدمير بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات فأحدثت ثغرة في منظومة الدفاع الجوي المصرية .

أخذت الانظار تتجه الى القتال الذي تطور غربي القناة مع ازدياد حجم القــوة الاسرائيلية ، التي حاولت الاستيلاء على مدينة الاسماعيلية الا انها فشلت ، فاتجهت جنوبا نحو مدينة السويس تحت اسناد جوي كثيف في وجه مقاومة عنيفة ، ووصلت طلائع القوات الاسرائيلية الى مسافة ١٦ ــ ٢٠ كيلو مترا شمال مدينة السويس عندما قبلت مصر واسرائيل قرار وقف اطـلاق النـار بالساعة ١٧٢٠ من يـوم ٢٢ تشرين أول .

استغلت اسرائيل قرار وقف اطلاق النار وواصلت دفع القوات عبر القنـاة ، والتعرض جنوبا نحو السويس محاولة تجاوز المواقع المصرية ، وحاول العدو مرتين احتلال مدينة السويس يومي ٢٣ ، ٢٤ تشرين أول الا انه اندحر بخسائر فادحة .

فتحول جنوبا الى ميناء الادبية وتمكن من قطع طريق السويس القاهرة وهو طريق الامداد والمواصلات الرئيسي الى المدينة والجيش الثالث المتواجد شرقي القناة • جدد العدو محاولاته لاقتحام مدينة السويس يومي ٢٥،٢٨ تشرين أول ، الا انه فشل فشلا ذريعا بفضل صمود المدافعين عنها • وبتمام الساعة ١٢٣٠ من يوم ٢٨ تشرين أول توقفت الحرب نهائيا على الجبهة المصرية باتخاذ قوات الطوارىء مراكز لها بين الطرفين المتحاربين •

اعتمد عبور القناة واقتحام خط بارليف بصورة رئيسية على حماية صواريخ أرض / جو أمام امتلاك العدو لقوة جوية متميزة ومتفوقة ، ودارت معارك جوية عنيفة بين الطرفين ، ولم يتمكن العدو من احراز السيادة الجوية ، وكانت جسور الامداد الامريكية تعوضه بأحدث الطائرات •

القوات العربية في الجبهة المصرية

تواجد في الجبهة المصرية تشكيلات مدرعة وآلية جزائرية وقسم من القوة الجوية الجزائرية حيث انضمت الى الاحتياط الاستراتيجي قبل وقف القتال ، واشتركت كتيبة كويتية في العمليات واستشهد قائدها ، وتواجد كذلك تشكيل سوداني من حوالي قوة لواء ، وقد اشترك في العمليات منذ البداية كما تواجدت في الجبهة وحدات من جيش التحرير الفلسطيني ، وسرب من القوة الجوية العراقية •

الجبهة السورية

تحت ستر القصف المدفعي بعد الضربة الجوية لمواقع العدو بدأت القوات السورية الهجوم على جبهة عريضة بامتداد خط المواجهة لابقاء جهد العدو موزعا ، ثم التحول الى الحشد المتفوق بالرجال والقوة النارية على نقطتين حاسمتين والقيام باختراق الجبهة فيهما •

قامت بالاقتحام ثلاث فرق سورية نسق أول ، وتتألف كل فرقة من لواء مشاة ، ولواء آلي ، ولواء دروع • كانت قوات النسق الثاني مؤلفة من فرقتين مدرعتين ولواء مستقل أو أكثر من الدروع والمشاة الآلية(٦) •

وسارت العمليات بتوقيت محكم وتنسيق تام مع الجبهة المصرية ، وفي الدقائق الاولى قامت قوات الصاعقة السورية المحمولة بطائرات الهليكوبتر بالهبوط بالقرب من موقع جبل الشيخ ، وانقضت بعملية جريئة وسريعة على المدافعين في الموقع ، وأبادتهم خلال دقائق قليلة •

كان ترتيب الفرق السورية المقتحمة من الشمال الى الجنوب كالآتي :

الفرقة السابعة تتقدم شمال مدينة القنيطرة ، تليها الفرقة التاسعة جنوبي القنيطرة ، تليها الفرقة الخامسة الى الجنوب • وقام سلاح الهندسة السوري باقامة الجسور على الخندق وفتح الثغرات في الساتر الترابي • وحتى صباح يوم ٧ تشرين أول نجحت الفرقة التاسعة بالتقدم حوالي ثمانية كيلو مترات ووصلت الى أهدافها المقررة ما عدا لوائها الايمن ، كما نجحت الفرقة الخامسة في اختراق رائع في الجنوب واندفعت في ثلاثة ارتال ، وحتى صباح يوم ٧ تشرين أول كان رتلها الايمن قد تقدم حوالي عشرة كيلو مترات ، ودمرت هذه الفرقة جميع قوات العدو في منطقة اختراقها بسرعة ، فدفعت القيادة السورية الفرقة المدرعة الاولى للعمل بين الفرقتين التاسعة والخامسة لاستثمار الفوز ومواصلة الاندفاع الى وادي الاردن ووادي الحولة على محور الخشنية ـ نفخ ـ جسر بنات يعقوب •

لم تحصل القوات العاملة شمال القنيطرة على اختراق يذكر نظرا لقوة الدفاعات المعادية ومقاومة العدو العنيفة • ولكن القوات العاملة الى الجنوب حصلت على تقدمات ناجحة وأبادت لواء مدرعا اسرائيليا (لـواء باراك) • واصلت الدبابات السورية المزودة بمعدات الرؤية الليلية القتال خلال ساعات الظلام واخترقت معسكر القيادة في نفخ واندفعت غربا باتجاه جسر بنات يعقوب • وحتى منتصف ليلة ٨/٧ تشرين أول كان القسم الجنوبي من هضبة الجولان تحت سيطرة القوات السورية واندحرت القوات الاسرائيلية هناك ، واتصل قائد القوة الاسرائيلية التي تم سحقها بقائد القوات الاسرائيلية في هضبة الجولان (رفائيل ايتان) بالساعة ٢٣٠٠ وقال : « انتهى كل شيء أعتقد انه انتهى كل شيء » • توقف الاختراق السوري الناجح في الجنوب على حافة التلال المطلة على نهر الاردن على بعد حوالي ثمانية كيلو مترات من جسر بنات يعقوب ، ويعود السبب الرئيسي لهذا التوقف الى تعطيل عناصر التموين والامداد حيث ركز العدو معظم جهده الجوي على الجبهة السورية •

طوال يوم ٧ تشرين أول هدد اسرائيل خطر هزيمة عسكرية ساحقة في الشمال ، ومنذ اللحظات الاولى لبدء الحرب أعطى التفكير العسكري الاسرائيلي الاسبقية للجبهة السورية ، وأخذ يرمي بثقل قواته البرية والجوية على هذه الجبهة ، وتهيأ لقتال تعويق في سيناء والتنازل عن الاراضي لبعدها عن قلب اسرائيل ، واعتبارا من صباح

يوم ٨ تشرين أول أصبحت قوات العدو على الجبهة السورية تقدر بحوالي خمسة ألوية دروع ، خمسة ألوية آلية ، وثلاث ألوية مشاة بالاضافة لعناصر الاستطلاع والاسناد ، وخصص لها معظم الجهد الجوي(٧) ٠

استمرت القوات السورية في القيام بهجمات عزومة يومي ٨ ، ٩ تشرين أول ، ولكن زخم الاندفاع توقف نتيجة تركيز جهد العدو الرئيسي على الجولان واعتبارا من يوم ١٠ تشرين أول صارت القوات السورية تقاتل قتال تعويق وهي تتراجع من المناطق التي حررتها ٠ ٠

وأمام تطور الموقف على الجبهة السورية سارعت العراق الى دفع فرقة مدرعة وفرقة آلية تحركت برا الى سوريا وصارت تخوض القتال اعتبارا من يوم ١٢ تشرين أول ، ودفعت الاردن مجموعة لواء مدرع تكامل في الاراضي السورية يوم ١٤ تشرين أول وأخذ يشارك في القتال ، ودفعت السعودية كتيبة مدرعات تكاملت على الارض السورية يوم ١٧ تشرين أول ، ثم دفع الاردن باقي فرقة مدرعة كاملة مع عناصر الاسناد ٠ وكان في الجبهة السورية لواء مغربي أبلى بلاء حسنا في القتال ٠

خاضت القوات السورية قتالا عنيفا مريرا ضد القوات الاسرائيلية التي رمت بثقلها على سوريا على المحاور الرئيسية الثلاثة باسناد كثيف من الطيران ، وتراجعت القوات السورية حتى خط وقف اطلاق النار لحرب عام ١٩٦٧ حتى يوم ١٣ تشرين أول ، وتجاوزه العدو في بعض المواقع ٠ وبوصول القوات العربية الاخرى بدأت الهجمات المضادة على العدو الذي التزم الدفاع ، ووضعت القيادة السورية الخطط للقيام بهجوم عام منسق مشترك لجميع القوات المتواجدة في الجبهة كان على وشك التنفيذ ، ثم جاء وقف اطلاق لنار على الجبهة المصرية ، وبعد ٢٤ ساعة جرى وقف اطلاق النار على الجبهة السورية ٠

وخلال فترة القتال خاض الطيارون السوريون معارك جوية عنيفة متواصلة في مواجهة جهد العدو الجوي ، كما تعاملت وسائل الدفاع الجوي ومنظومة الصواريخ أرض / جو بكفاءة مع طيران العدو وكبدته خسائر كبيرة ، فحول العدو قسما كبيرا من جهده الجوي لضرب المطارات العسكرية بهدف شل الطيران السوري ، وكذلك ضرب الاهداف المدنية والاقتصادية ٠

الدروس المستفادة

توحدت مواقف الدول العربية بالنسبة للصراع مع العدو عمليا لاول مرة في تاريخ العرب الحديث ، وأخذت تتحرك في اتجاهات متعددة من سياسية واقتصادية ، فظهر العرب كقوة مؤثرة على المسرح العالمي نتيجة وحدة الصف مما أكسب القضية العربية مزيدا من التفهم والتأييد ، ولم يبق الى جانب العدو الا بضع دول ،ورفضت معظم الدول الاوروبية الاعضاء في حلف الاطلسي السماح لطائرات الجسر الجوي الامريكي بالمرور أو استعمال التسهيلات من أراضيها .

ونتيجة لتدفق المساعدات على اسرائيل تحرك الملك فيصل بن عبد العزيز وأمر بوقف تصدير البترول وقفا تاما الى الولايات المتحدة اعتبارا من يوم ٢٠ تشرين أول ، وكذلك أوقفته ليبيا والجزائر ودولة الامارات العربية والكويت وقطر والبحرين.

وقامت المدمرات المصرية بالتنسيق مع السعودية واليمن باغلاق مضيق باب المندب، ومنعت دخول أي سفينة متجهة الى اسرائيل أو الخروج منه ، وكان هذا العمل ضربة استراتيجية لم ترد على تفكير العدو .

وقد أبرزت حرب رمضان عدة دروس في المجالات الاستراتيجية والتعبوية والفنية، كما كاو لها جوانب مشرقة في الجانب العربي بعد فشل ومرارة ربع قرن ، وكان لها جوانب سلبية واخطاء عسكرية عند الجانبين ، وخلال الايام الثلاثة الأولى لم تتمكن القيادة الاسرائيلية من ايجاد حلول للمشاكل الاستراتيجية التي واجهتها لوجود تهديد كبير من جبهتين بقوة وفي وقت واحد . وصباح يوم ٧ تشرين أول قام موشي دايان بزيارة الجبهتين ، وعاد مسرعا الى تل أبيب ليقدم تقريره الى جولدا مئير ويقال انه خاطبها كما يلي(٨) : جولدا : « لقد أخطأت في كل شيء ، نحن نسير نحو كارثة ، وعلينا ان ننسحب من مرتفعات الجولان الى حافة المنحدر المطلة على الوادي ، وفي الجنوب من سيناء ، الى الممرات ، وان ندافع هناك حتى آخر طلقة » .

وكنت أحد المدعوين للندوة الدولية لحرب اكتوبر التي عقدت في جامعة القاهرة من ٢٨ ـ ٣١ اكتوبر ١٩٧٥ ، وقد أجمع المراقبون من جميع أنحاء العالم ان اسرائيل كانت على شفا الهاوية حتى اليوم الرابع من القتال وتترنح على وشك السقوط ، وان العرب أضاعوا نصرا عسكريا بعدم ادامة القتال بالزخم الذي بدأوا به الحرب،وبالتنازل عن المبادأة لعدوهم ، مما أفسح المجال أمام العدو ليستعيد توازنه ، وتسلم المبادأة ، مما اعطاه قدرا كبيرا من حرية الحركة التي فقد ، وأخذ ينهض من الكبوة ويقوم

بالتعرض ، ولكنه لم يحقق النصر ، ولم يستطع تدمير القوات العربية كما كان يحدث في الماضي ، واستمرت هذه القوات متماسكة وقادرة على مواصلة القتال لمدد طويلة أخرى ، وعندها أدرك العدو ان استراتيجيته وعقيدته القتالية في شن حرب قصيرة وحاسمة قد قلبتا رأسا على عقب ، يضاف الى ذلك اهتزاز المجتمع الاسرائيلي بأكمله للثمن الباهظ في الارواح الذي دفعه بهذا القدر لأول مرة ، وبروز المقاتل العربي بارادة جديدة وكفاءة قتالية ، وأخيرا ظهور العرب على المسرح العالمي بحجم جديد كقوة قادرة على النضال بالسلاح ، وقادرة على التأثير في الواقع العالمي بما لديها من طاقات وامكانات ·

لقد غيرت هذه الحرب الاستراتيجية في العالم كله ، وغيرت الكثير من المفاهيم العسكرية ، مما دعا القيادات العسكرية في الدول الكبرى لتعكف على دراستها وتحليلها، كما أوقف بعضها انتاج أنواع معينة من الاسلحة التي ثبت عدم جدواها ، وأهم الدروس المستفادة هي :

أ ـ المفاجأة

لقد حقق العرب لأول مرة في صراعهم ضد اسرائيل المفاجأة على المستويين الاستراتيجي والتعبوي ، ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور ، على أن المفاجأة هي أهم مبادىء الحرب ، وأشدها خطرا ، وأكثرها تحقيقا للنصر في أي عمل عسكري كبيرا كان أم صغيرا · والمفاجأة الناجحة تعني أكثر من مفاجأة العدو بعمل فريد أو غير متوقع ، أو باستعمال نوع جديد من المعدات ، فهي تمكّن أي قوة من محاربة العدو في ظروف ليست في صالحه ، وهي بعيدة الاثر في جعل العدو يفقد توازنه ، وتأثيرها المعنوي كبير جدا ·

حققت مصر وسوريا المفاجأة بموجب خطة مدروسة ومنسقة على المستويين السياسي والعسكري بتدابير مختلفة ، أعطت الانطباع محليا ودوليا انها ليست في سبيل الحرب وتريد الحل السلمي · وعلى مستوى القوات المسلحة في البلدين ، أخفت نواياها وقدراتها عن العدو الذي فوجيء بنوع جديد من المقاتلين وباسلحة حديثة لمقاومة الدبابات والطائرات ·

وحققت اسرائيل مفاجأة في عملية الخرق الى غرب القناة ، ولم يدر بخلد الكثيرين في ذلك الوقت بالذات ان يقوم العدو بمثل هذه المغامرة · ومن الضروري الحذر الدائم وعدم الاستهانة بالعدو حتى لو كان موقفه سيئا · فقد قام الالمان في الحرب

العالمية الثانية بتوجيه ضربتين شديدتين للحلفاء كبدتهم الكثير من الخسائر ، وكان الالمان في موقف سيء ، وذلك في معركة (أرنيم) في ايلول ١٩٤٤ ، والهجوم الالماني في منطقة (الآردين) في كانون أول ١٩٤٤ ، حيث نجحوا في العملية الثانية في الحصول على خرق استراتيجي بعمق حوالي خمسين كيلو مترا • وكان باعتقاد الحلفاء عدم استطاعة الالمان القيام بالضربات القاصمة في كلتا الحالتين •

ب ـ التعرض والمبادأة

تكسب الحروب بالعمليات التعرضية ، وبالتعرض يتم الحصول على المبادأة ، وبذلك يتيسر للقائد حرية العمل ، وعلى أي قائد ان يتمسك بالمبادأة دوما وان لا يسمح للخصم بانتزاعها ، ويجب أن يستمر التعرض حتى يتحقق الهدف الذي شنت الحرب من أجله • لم تستمر القوات العربية بالمحافظة على هذا المبدأ ، وكأنها تخلت عن المبادأة باختيارها للعدو الذي كان على حافة الانهيار في الايام الاولى من الحرب ، فلو ادامت القوات العربية زخم الهجوم واستمرت في زيادة الضغط على العدو لاخذت الحرب اتجاها آخر في غير صالح العدو تماما ، ولو أخذنا الجبهة المصرية كمثال واستمرت القوات المصرية في الاندفاع للسيطرة على منطقة الممرات (ممر متلا وممر جدي) لاصبحت بعمق حوالي أربعين كيلو مترا شرقي القناة ، وهذا يكفي حائلا أمام القوات الاسرائيلية لمنعها من القيام بعملية الاختراق الى غربي القناة • لقد حاولت القوات المصرية الاندفاع الى الحافة الغربية للممرات ولكن ذلك حدث في وقت متأخر بعد أن أفاق العدو واستعاد توازنه •

ج ـ حشد القوة

استطاعت القوات المصرية والسورية تطبيق هذا المبدأ قبل بدء القتال وخلال الايام الاولى في الحرب ، فحصلت على التفوق على العدو من حيث القوة البشرية والمعدات ، وبذلك استطاعت دحر العدو في الايام الاولى والحصول على تقدمات ناجحة، وتعتبر عملية عبور قناة السويس من أنجح العمليات وأول عملية في التاريخ العسكري تتم تحت حماية الصواريخ المضادة للطائرات في وجه قوة جوية متميزة ومتفوقة يملكها العدو ، حافظت على السيادة الجوية في منطقة الشرق الاوسط منذ حرب عام ١٩٦٧ • وكذلك قامت القوات السورية في الجولان باختراق دفاعات العدو الحصينة واجتياز الموانع الصعبة المحفورة بعمق كاف تحت حماية الصواريخ •

أما قوات الدعم العربية التي أخذت تصل تباعا الى الجبهة السورية وتدخل المعركة ، فكانت تناقض مبدأ حشد القوة كلية ، ولو كانت هذه القوات متحشدة بالقرب من الجبهة ومتكاملة لحين الحاجة لاحدثت تغيير كبيرا في الموقف . ان دفع قوات الدعم العربية من دول الخط الثاني الى الجبهة يتم غالبا بدون تخطيط مسبق او تنسيق مسبق ، وينطبق عليها مثل (العليق عند الغارة) ، وبالطبع ليس الذنب على القوات العربية بل الذنب هو ذنب السياسة العربية .

د ـ الاقتصاد في القوة

يرتبط هذا المبدأ ارتباطا وثيقا بمبدأ حشد القوة ، وتطبيق المبدأين معا يتطلب تقديرا صحيحا لما يمكن أن يكفي من القوة في المكان والزمان المناسبين ، وبتطبيق مبدأ الاقتصاد في القوة في الاوقات والاماكن الاخرى يمكن القيام بعملية الحشد في النقطة المقررة المطلوبة .

لقد هاجم المصريون والسوريون الخطوط المعادية بجبهات واسعة بغرض خداع العدو وتوزيع جهده ، واختيار عدم تطبيق هذا المبدأ للغاية الآنفة الذكر ولفائدة القوات المهاجمة لا يناقض المبدأ نفسه ، ولكن القوات العربية استمرت في نقض هذا المبدأ في الايام التالية ، وكان يتوجب توفر قوات اضافية لزيادة عمق الهجوم ، وتوجيه حشد القوات نحو أهداف منتخبة وحاسمة بدلا من نشرها على امتداد الجبهة ، بعد النجاح الذي تحقق في المراحل الاولى ، مما أدى في النهاية الى قابلية اختراق الجبهات من قبل العدو بعد تكسير موجات الاقتحام قليلة العمق . وفي جانب العدو فانه قام بتوجيه ضرباته المضادة الرئيسية نحو هدفين في شمال القنيطرة وتل الفرس، وترك استعادة موقع جبل الشيخ حتى النهاية ، وبذلك تمسك بمبدأ الاقتصاد في القوة والحشد الكافي في المكان والزمان المناسبين ، وانطبق عمل العدو هذا على عملية الخرق الى غربي القناة ، بحشد قوة كافية ضرب بها نقطة منتخبة في القطاع الاوسط، فتمكن من العبور الى منطقة الدفرسوار ، ولو استطاع المصريون حشد قوات كافية في منطقة الخرق في أيامه الاولى لتلاشى هذا الخرق وتم تدميره تماما ، ولاصيبت اسرائيل بضربة قاصمة ، ولكن الحشد المصري تم فيوقتمتأخر بعد وقفاطلاقالنار .

هـ ـ الخدعة

كانت تدابير الخدعة احدى المظاهر الجيدة في حرب اكتوبر بالنسبة للجانب العربي ، وقد سارتخطة الخدعة جنبا الى جنب مع خطة العمليات ، وتم تنفيذها على

كافة المستويات ، وقد أتت أكلها في تضليل مخابرات العدو ومخابرات عالمية أخرى عن النوايا ، وقد ساعد استخدام المعدات والاسلحة الوهمية واقامة الجسور الوهمية على اعطاء صورة خاطئة للعدو عن الموقف أثناء سير المعركة ، مما أدى الى توزيع جهده والاقلال من الخسائر العربية الى حد كبير ·

و ـ الاستخبـارات

أثبتت حرب اكتوبر ان الاستخبارات المصرية والسورية قد خطت خطوات متقدمة الى الأحسن منذ حرب عام ١٩٦٧ ، وعززت التعاون بينها وبين الاجهزة الاخرى في الدولة ، ونجحت في الامن العسكري الى درجة كبيرة ·

ويملك العدو بالمقابل جهاز مخابرات جيد أيضا ، ويتعاون مع أجهزة مخابرات أجنبية لدول كبرى بما تملك من مصادر وأقمار تجسس ومعدات تجسس · ولكن العدو فشل في الحصول على حقائق كاملة عن حرب اكتوبر قبل اندلاعها ، كما فشل في تقييم القدرة العربية على خوض القتال ، وكان السبب الرئيسي في ذلك هو تدابير الخدعة الطويلة المحكمة التي طبقتها كل من مصر وسوريا ·

ز ـ التعـاون

لا يتم تحقيق النجاح في المعركة الحديثة الا بالتعاون بين مختلف صنوف الاسلحة والخدمات في الجيش ، وبين القوات المقاتلة من برية وجوية وبحرية ، وبالنظر لتنوع الاسلحة البرية والجوية والبحرية وتعدد المعدات ، فان الحاجة تدعو الى تنظيم فعال لادارة المعركة المشتركة ، وغرس التعاون بين القوات المقاتلة لتعمل كفريق متكامل حتى مستوى الفرد ·

جرى خوض حرب اكتوبر بتعاون وثيق بين القوات المصرية والسورية تحت قيادة واحدة ، وهذه أول بادرة خير في تاريخ العرب الحديث · ولتباعد الجبهتين نشأت مشاكل السيطرة الفعلية للقيادة مع تقدم العمليات ، حيث السرعة ضرورية لوضع القائد في الصورة عن كل موقف وما يتبع ذلك من اصدار التوجيهات المنسقة ·

ان تطبيق مبدأ التعاون يتطلب ادامة الضغط على العدو من الجبهات كلها ، وحرمانه من توجيه ثقله الى جبهة واحدة لانهائها ومن ثم التحول الى جبهة ثانية ·

ح ـ المعنويـات

حاربت القوات العربية بمعنويات مدهشة هذه المرة حتى عندما أخذ العدو بالمبادأة والتعرض ، ودور المعنويات في الحروب لا يحتاج الى تأكيد ، وتعتمد المعنويات على الصفات القومية والايمان بالقضية والاصرار على تحقيق النصر ، وان الثقة في قيـادة القائد هي العامل الاكبر والوحيد للحفاظ على المعنوية ، ويشكل هذا بالاضافة الى الثقة بالسلاح وروح التآلف الاساس للمعنوية القتالية للقطعات ٠

وقد لوحظ ان معنويات القطعات كانت تزداد كلما زادت العمليات التعرضية ، والنصر في المعركة هو أهم عامل لرفع المعنويات ٠ ويقول المارشال فوش القائد العام لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الاولى : « الحرب تساوي ميدان القوى المعنوية ، وان الرغبة في قهر العدو هي الشرط للحصول على النصر ، ولهذا فهي الواجب الاول لكل جندي ، ولكنها تسمو وترتفع الى ما هو أكبر من ذلك ، فهي المثل القوي الذي يجب أن يقدمه القائد للجنـدي اذا ما قضت الحـاجة بـأن يقاسم القـائد هذا الجنـدي روحه المعنوية » ٠

لقد ضربت القوات العربية أروع الامثلة في الجرأة والتضحية في هذه الحرب فداء لامتها وشرفها ، وهكذا كانت دائما ، واعترف العدو قبل الصديق بهذه الروح الجديدة باكبار واجلال ، مع ان ظروف الحرب الحديثة أصبحت أكثر صعوبة وهولا ، الا أن المعنويات على مستوى الجيوش العربية والامة العربية أخذت تسمو عالية ، وهذه احدى دلائل الاصالة في الامة وادراك الذات ، فضحت بابنائها عن طيب خاطر في سبيل حقها في الحياة ٠

ط ـ المعلومات الدقيقة

تبنى الخطط على المعلومات الدقيقة التي تهيؤها مصادر الدولة والقوات المسلحة ، وعلى ضوء هذه المعلومات يتمكن القادة من اتخاذ قراراتهم ، وعدم دقة المعلومات أو التأخير في ايصالها الى المرجع المختص يضيع الكثير من الفرص ٠ ويشترك في مسئولية تمرير المعلومات كل فرد ووحدة في القوات المسلحة ، ويجب أن تكون دقيقة وصحيحة ليتمكن القائد من التخطيط لمواجهة فعاليات العدو ، واتخاذ القرار الصحيح ، واتخاذ القرار الصحيح من أهم صفات القيادة ٠

ويعزي نجاح العدو في التسلل الى غرب القناة والحصول على عملية الاختراق ، الى عدم دقة المعلومات ، وعدم تمريرها الى القائد المختص ، وبالتالي عدم توزيعها لايضاح الموقف للقوات المتأثرة به • لقد أرسلت معلومات خاطئة في البداية الى قيادة الجيش الثاني في الاسماعيلية ، عن حجم القوة الاسرائيلية التي عبرت الى غربي القناة ، مما جعل القيادة العليا لا تتدخل وترسل قوات كافية لتدميرها ، بل ترك الامر للجيش الثاني لمعالجة الموقف • وكانت تقارير القادة المحليين في منطقة الخرق تشير بانها قوات صغيرة متسللة ونحن قادرون على التعامل معها وتصفيتها • وبالاضافة الى ذلك لم تصل المعلومات الى مقر قيادة الفريق أحمد اسماعيل الا في وقت متأخر ، ولم توضح له بدقة عن حجم هذه القوات وأهدافها • لذلك فأن على ضباط الاركان ، وخاصة أركان الاستخبارات والعمليات ، عدم اهمال أي معلومات مهما كانت تبدو للوهلة الاولى لا قيمة لها ، وعليهم اطلاع القائد المسئول عليها ، ومن ثم متابعة العمل لتأييد تلك المعلومات أو نفيها • وعلى قادة التشكيلات الموجودة في المنطقة أن يذهبوا بأنفسهم الى أقرب موقع للتأكد من حقيقة الوضع اذا سمحت لهم ظروف العمليات بذلك •

ي ـ التطورات الفنية

أثبتت هذه الحرب ان المعركة ستزداد تعقيدا بسبب التطورات الفنية على الاسلحة ، وسيستمر السباق في سبيل التفوق التكنولوجي الذي سيكون عظيم التأثير على احداث القتال • لقد استخدمت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الاقمار الصناعية للحصول على المعلومات عن أوضاع جيوش الطرفين ساعة بساعة ، وثبت أن الاقمار الصناعية هي أحدث وأدق وسيلة للاستطلاع •

لقد زادت التطورات الفنية من القدرة التدميرية للاسلحة الحديثة ، مما جعل الاستهلاك اليومي للمعدات والارواح كبيرا جدا بالقياس الى الحروب السابقة ، وهذا الامر يتطلب اعادة النظر في مقاييس الذخيرة ، وتدبير سبل الامداد والتعويض السريع ، كما أثبتت الحرب ضرورة الاعتماد على حليف قوي ليرتبط بجسر متين للامداد والتعويض لكل من الطرفين المتحاربين ، وأصبح من الضروري للأمة العربية أن تسارع الى بناء المصانع الحربية لكافة المعدات اللازمة لجيوشها ، حتى لا تكون عاله على أي من القوى العالمية في هذا المجال وما يتبع ذلك من عوامل الضغط والمساومات السياسية •

ك ـ طاقات الأمة العربية

عندما لوحت الأمة العربية بسلاح البترول مع وحدة الصف العربي اهتز العالم ، وأخذت كثير من الدول تراجع سياستها وتتحول الى نصرة الحق العربي ، بعد ان كانت لا تكترث بالعرب المتفرقين ، تأخذ خيرات بلادهم وتؤيد باطل عدوهم ، وهكذا أخذ العالم يدرك قوة الامة العربية ، ويغير من نظرته اليها ويضطر الى احترامها ، مما فرض على العدو العزلة السياسية ، وتنكرت كثير من الدول الصديقة له ، وأصبح صديقا ثقيل الظل • واذا أحسن العرب استخدام طاقاتهم الاخرى باستمرار ، وتماسكوا سياسيا ضد مؤيدي العدو ، فسيعرف كل مكانه ، ويكون ذلك بمثابة ضربات غير مباشرة توجه الى عدوهم ، ولكنها شديدة الوطأة والتأثير •

درس هام ـ الفرص الضائعة

كان التخطيط الذي أعدته هيئة الاركان المصرية / السورية لهذه الحرب بمنتهى الروعة ودقة الاتقان ، وتم حساب جميع الاحتمالات وردود الفعل للعدو ، وان احدى مميزات الخطة هي (المرونة) لما يطرأ أثناء القتال الفعلي من تطور وتغيير ، وتسمح المرونة عندئذ بالتحول والتعديل لمجابهة المواقف المستجدة أو اقتناص الفرصة •

تخلت القيادة المصرية عن المبادأة للعدو باختيارها اعتبارا من اليوم العاشر من اكتوبر ، على أساس أن كل شيء محسوب حسابه بموجب الخطة لامتصاص جهد العدو ، بحرب طويلة على غير ما يشتهي أو يوافق استراتيجيته ، وذلك بهدف تدميره تدريجيا ، أمام صعوبات طول خطوطه والبعد عن قواعده ، وتحكيم القدرة الدفاعية المصرية في رؤوس الجسور تحت حماية جدار الصواريخ المضادة للطائرات الذي كان يغطي عمقا لغاية خمسة عشر كيلو مترا شرقي القناة •

ولكن حروب العصر الحاضر تشدها خيوط خارجية كثيرة ، وتتحكم فيها عوامل عالمية عديدة ، تحد من حرية العمليات العسكرية وتطويل أمد الحرب ، ولا يتمكن طرف ما من مواصلتها حسب الخطة المرسومة •

ونظرا لتقييد الحركة شرق القناة اذا أريد مواصلة العمليات الهجومية على العدو ، فان هذا يجب أن يرتبط بقدرة الدفاع الجوي المصري وضرورة حماية القوات من تدخل طيران العدو الذي يملك ميزات عدة ، فكانت فكرة التوقف في رؤوس الجسور ، لارغام اسرائيل على القتال تحت ظروف ليست مؤاتية لها ، وفرض أكبر

قدر من الخسائر البشرية التي تهز المجتمع الاسرائيلي باكمله ، ولا يهتم للخسائر المادية التي يتم تعويضها بسرعة ، وبدون ثمن ، ويتم الانطلاق للمراحل التالية من الحرب بعد انهاك القوات الاسرائيلية(٩) ٠

وعلى هذا الاساس جرى التخطيط في الجبهة المصرية بعدم تجاوز عمق تغطية الصواريخ في المراحل الاولى ، وهذا لم يكن واضحا بالنسبة للقيادة السورية كما ذكر الفريق الشاذلي في الصفحة ٢٤ من مذكراته وهذا النص الحرفي لما ذكر : « في خلال شهر ابريل اخبرني وزير الحربية بأنه يرغب في تطوير هجومنا في الخطة لكي يشمل الاستيلاء على المضائق ، فأعدت له ذكر المشكلات المتعلقة بهذا الموضوع ، وانه لم يطرأ اي تغيير على الموقف منذ أن ناقشنا هذه المشكلات معا في نوفمبر ٧٢ ، وبعد نقاش طويل أخبرني بانه اذا علم السوريون بان خطتنا هي احتلال ١٠ ـ ١٥ كم شرق القناة فانهم لن يوافقوا على دخول الحرب معنا ، وأخبرته ان بامكاننا ان نقوم بهذه المرحلة وحدنا ، وان نجاحنا سوف يشجع السوريين للانضمام الينا في المراحل التالية ، ولكنه قال : ان هذا الرأي مرفوض سياسيا ، وبعد نقاش طويل طلب الي تجهيز خطة أخرى تشمل تطوير الهجوم بعد العبور الى المضائق ، وأخبرني بان هذه الخطة سوف تعرض على السوريين لاقناعهم بدخول الحرب ، ولكنها لن تنفذ الا في ظروف مناسبة ، ثم أضاف قائلا : « فلنتصور مثلا ان العدو تحمل خسائر جسيمة في قواته الجوية ـ وهوعنصر التهديد الاساسي ـ وانه قرر سحب قواته من سيناء ، فهل سنتوقف نحن على مسافة ١٠ ـ ١٥ كم شرق القناة لأنه ليس لدينا خطة لمواجهة مثل هذا الموقف ٠

ويضيف الفريق الشاذلي الى ما سبق قوله : لقد كنت أشعر بالاشمئزاز من هذا الاسلوب الذي يتعامل به السياسيون المصريون مع اخواننا السوريين ، ولكني لا استطيع أن أبوح بذلك للسوريين ، وقد ترددت كثيرا وأنا أكتب مذكراتي هذه ، هل أحكي هذه القصة أم لا ، وبعد صراع عنيف بيني وبين نفسي قررت أن أقولها كلمة حق لوجه الله والوطن ، ان الشعوب تتعلم من أخطائها ، ومن حق الاجيال القادمة أن تعرف الحقائق مهما كانت هذه الحقائق مخجلة » ٠

كانت معركة العبور هائلة وحققت نجاحا حاسما باقل خسائر ممكنة ، وهي أقل بكثير مما حسب حسابه في الخطة ، وبلغت خسائر مصر فيها ٥ طائرات ، و٢٠ دبابة و٢٨٠ شهيدا ، وخسر العدو ٣٠ طائرة ، و٣٠٠ دبابة ، وعدة آلاف من القتلى ، وخسر خط بارليف حيث تم تحطيمه واكتساحه في ١٨ ساعة فقط(١٠) ٠

وكان الجنرال اليعازر رئيس أركان القوات الاسرائيلية خلال حرب اكتوبر قد ذكر أثناء مناقشة احتمال قيام المصريين بالهجوم عبر القناة أن دايان علق ساخرا : « لكي تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف فانه يلزم تدعيمها بسلاح المهندسين الروسي والامريكي معا » وكان الجنرال بارليف يؤيد دايان في هذا القول ، وهذه الشهادة من قادة العدو تظهر مدى الاستخفاف والاوهام التي كانوا يعيشون فيها ، ولكنها من ناحية أخرى ، تبين عظم المهمة التي يلزمها سلاح المهندسين لاكبر دولتين عظميين ، وهي تؤكد عظمة التخطيط وروعة الاداء اللذين تم بهما انجاز هذا العبور العظيم(١١) ٠

أين كانت الفرص الضائعة في هذه الحرب ؟ يمكن ربط هذه الفرص بظروف الموقف الذي ساد في الجبهة والمؤشرات تدل انها في صالح القوات العربية ، والفرص قد لا تتكرر في الحرب ، وتلمع الفرصة الذهبية مرة واحدة فقط ، ولنحدد المناسبات التي لاحت فيها الفرص على ضوء معطيات الموقف :

أ ـ يوم ٨ اكتوبر

صباح يوم ٨ اكتوبر كانت القوات السورية في جبهة الجولان في أعلى درجات النجاح ، وأخذ شبح الكارثة يهدد اسرائيل حينما أطلت الدبابات السورية على وادي الاردن وبحيرة طبريا ، ودمرت الدبابات الاسرائيلية في النصف الجنوبي من الجولان ٠

وفي الجبهة المصرية قام العدو بنفس اليوم بتوجيه أكبر هجماته المضادة ضد رؤوس الجسور ، ففي الصباح هاجم بلوائين مدرعين أحدهما باتجاه القنطرة والثاني باتجاه الفردان وتم دحرهما ، وبعد الظهر هاجم بثلاثة ألوية مدرعة وقد أبادت القوات المصرية أحدها ، وتكبد لواء آخر خسائر فادحة ، وتراجعت باقي دروعه منسحبة(١٢) ٠

كان هذا اليوم مناسبا من الناحية العسكرية للضغط بقوة على العدو في الجبهة الجنوبية فور فشل هجماته المضادة اما للاجهاز على القوات المدرعة التي تراجعت والاندفاع الى الممرات ـ اذا سمح الموقف الجوي ـ وهذ يكون متناسقا مع الموقف في الجبهة السورية ، ولم يستطع العدو يوم ٩ اكتوبر الا الهجوم بلوائين مدرعين على الجبهة المصرية وفشل ، ولم يحاول توجيه ضربات قوية على هذه الجبهة ٠

وان اي تعرض من الجنوب بعد يوم٨ أو ٩ اكتوبر لن يفيد في ايقاع العمليات لفائدة الجبهة الاخرى ، وقد بدأت القوات الاسرائيلية هجماتها المضادة الرئيسية على الجبهة السورية اعتبارا من يوم ٩ اكتوبر ، وقد أكد الفريق الشاذلي في مذكراته انه لم يقبل فكرة التعرض يوم ١١ اكتوبر عندما عرضها وزير الحربية لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية تمسكا بتنفيذ الخطة الاساسية ٠

وقد نشرت الصحف المصرية ان الفريق الشاذلي أراد اقتناص الفرصة يوم ٨ اكتوبر بعد دحر الهجوم المضاد الرئيسي وضرب العدو بقوة لاستثمار الفوز الذي تحقق حتى هذا اليوم ومتابعته — ولم أجد فيمذكراتالفريق الشاذلي هذا الاقتراح — ولكن المؤرخ العسكري الامريكي العقيد (ديبوي) يؤكد هذا الاقتراح(١٣) ٠ أما الفريق اسماعيل فقد رفض تعريض مكاسب القوات للخطر باعطاء الاسرائيليين الفرصة لاستعمال تفوقهم الجوي وقدرتهم في حرب الدروع المتحركة ٠

عادت القيادة المصرية وقررت التعرض شرقا يوم ١٤ اكتوبر لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية ودفعت القوات التالية :

لواء مدرعا باتجاه ممر متلا (القطاع الجنوبي) ٠

لواء مشاة ميكانيكي باتجاه ممر جدي (القطاع الجنوبي) ٠

لوائين مدرعين باتجاه الطاسة (القطاع الاوسط) ٠

لواء مدرعا باتجاه بالوظة (القطاع الشمالي) ٠

وكان العدو قد استعاد توازنه تماما ولديه تعزيزات كبيرة ولم تنجح هذه الضربة ، وعادت القوات المصرية بنفس اليوم الى رؤوس الجسور بخسائر جسيمة ، ان احتمالات توجيه ضربة مؤثرة باتجاه الممرات بعد يوم ٩ اكتوبر تتمثل في دفع قوة أكبر من الدروع والمشاة الآلية والمشاة العادية ، وقد تقدمت الالوية الخمسة على واجهة حوالي مائتي كيلو متر ، وكانت طعنة بالدروع والمشاة الآلية ، وبقيت المشاة العادية لحماية رؤوس الجسور ، ولو تهيأت للعمل قوة أكبر مع توفير حماية جوية لها لتمكنت من الحصول على مكاسب أرضية ، وربما دفعت الاسرائيليين الى شرقي الممرات ، وعندئذ يحتاج الاسرائيليون الى اعادة ترتيب أوضاعهم وفتح قوات جديدة ربما ينقل بعضها من الجبهة السورية ، كما يحتاجون الى جهد أكبر لدفع القوات المصرية الى الوراء ، ولو تم وصول القوات المصرية الى الممرات والتمسك بها لما وقعت

عملية الدفرسوار ، ومن الواضح ان فرصة النجاح في التقدم الى الممرات على جبهة ضيقة باتجاه ممري متلا وسدر هي الأحسن لارباك الاسرائيليين ودفعهم نحو الشرق فيما وراء الممرات ، وكانت هذه فرصة ضائعة أخرى ٠

ب ـ التعرض الثاني على الجبهة السورية

بوصول القوات العراقية والاردنية الى الجبهة السورية ، استعادت الجبهة توازنها ، وأخذت تقوم بهجمات مضادة مستمرة وتوقف العدو اعتبارا من يوم ١٤ اكتوبر والتزم الدفاع ٠ وجرى تخطيط للقيام بهجوم منسق بالقوات السورية والقوات العربية في الجبهة على شكل تعرض شامل ، وتم تحديد يوم ٢١ تشرين أول، وتأجل ليوم آخر ، ولكن ظروف الموقف وقبول وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية لم تهيء هذه الفرصة ٠

ج ـ تدمير الجيب الاسرائيلي غرب القناة

كانت هناك خطة للفريق الشاذلي وأخرى للفريق اسماعيل وتدخلت القيادة السياسية وتركت خطة الشاذلي جانبا مع التهديد والتأنيب ، ولم تنجح الخطط الاخرى وصارت تعديلات اللحظات الاخيرة تظهر مستعجلة ، وما أريد أن أعلق عليه هنا ان (يترك الخبز لخبازه) أي أن لا تتدخل القيادة السياسية في صياغة الخطط العسكرية ، ويترك أمرها للعسكريين بعد الحصول على التوجيه السياسي ، هذا ما حدث في المراحل الاولى للخرق الاسرائيلي الى غرب القناة ٠

وفي المراحل اللاحقة تمكنت مصر من حشد قوات كافية في منطقة الخرق ، ولكن وقف اطلاق النار النهائي حال دون التنفيذ ، بينما يستغل العدو وقف اطلاق النار في أغلب الاحيان اذا كان هناك مجال لتحقيق عمليات حاسمة تفيد في المساومات السياسية ٠ لقد أخذت اسرائيل بتخطيط هنري كيسنجر في ابتزاز مصر نتيجة لحصار الجيش الثالث وهذا الحدث تم بعد قبول الطرفين وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر ٠

الهـــوامش

١ ــ كتابي ــ حرب رمضاو وتحطيم الاسطورة ، ١٩٧٤ ، صفحة ٢٥ ــ ٣١ ٠

٢ ــ نفس المصدر السابق ، صفحة ٣٢ ــ ٤٠ ٠

٣ ــ Elusive Victory, Dupuy, 1978 page 608.

٤ ــ نفس المصدر السابق Ibid - page 408.

٥ ــ نفس المصدر السابق Ibid - page 433.

٦ ــ نفس المصدر السابق Ibid - page 440 - 441.

٧ ــ لمزيد من التفاصيل راجع كتابي (حرب رمضان وتحطيم الاسطورة) صفحة ٧١ ــ ٨٠ ٠

٨ ــ Elusive Victory, Dupuy, 1978 page 451.

٩ ــ حرب اكتوبر ــ مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي ، صفحة ١٥ ــ ١٨ ٠

١٠ــ نفس المصدر السابق صفحة ٢٣٥ ٠

١١ــ نفس المصدر السابق صفحة ١٤ ٠

١٢ــ نفس المصدر السابق صفحة ٢٤٢ ٠

١٣ــ Elusive Victory, Dupuy, 1978 page 490 - 491.

الفصل السادس

الغزو الاسرائيلي للبنان

اطلق بعض الباحثين العرب اسم (الحرب السادسة) على غزو اسرائيل للبنان في صيف ١٩٨٢ ، كما أطلق عليها اسم « الحرب الفلسطينية الاسرائيلية الثالثة » ٠ قامت اسرائيل بعملية غزو أولى لجنوبي لبنان في اذار ١٩٧٨ بقوة حوالي فرقتين مدرعتين ووحدات مشاة آلية ، ووحدات مظليين ، تسندها حوالي ستين طائرة ، ودامت العملية ستة ايام (١٥ ـ ٢١) اذار ووصلت قواتها الى مشارف مدينة صور بعمق حوالي ١٨ كيلو مترا ٠

كانت القاهرة مركزا للقرار السياسي العربي والعسكري قبل اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، وبخروج مصر من حلبة الصراع حدث خلل استراتيجي كبير ، وتحول الغياب العربي عن تحمل المسئولية ولم تقم عاصمة عربية بديلة لتكون بيدها مركزية القرار ٠

وعشية الغزو الثاني للبنان في ٦ حزيران ١٩٨٢ كانت المنطقة العربية في أدنى درجات التفكك وغياب التضامن العربي ، فكان الموقف السياسي والعسكري في المنطقة لصالح اسرائيل ، وبدأ توجيه اشاعة نهج القعود عن النضال ضد اسرائيل ، لذلك لم تستطع الدول العربية عمل أي تدابير للدفاع عن لبنان والفلسطينيين ، ولف البلاد العربية صمت رهيب ، بالرغم من معرفة النوايا الاسرائيلية وتوافر الادلة المعلنة قبل شهور[1] ٠

أهداف الحرب

أعلنت اسرائيل عند بدء الهجوم ان هدفها هو ابعاد قوات الثورة الفلسطينية عن الحدود اللبنانية ـ الاسرائيلية مسافة ٤٠ ـ ٤٥ كيلو مترا ، ولم تتوقف قواتها عند هذا الحد ، بل استمرت في التوسع ، وتبين ان الهدف عبارة عن تصور لتحقيق سياسة بعيدة المدى تفوق أي كسب عسكري آني ، ويمكن أن يوضع على النحو التالي : تدمير منظمة التحرير بجميع مؤسساتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية واخراجها من لبنان[2] ، والضغط على لبنان لتوقيع معاهدة صلح معها وكذلك اخراج القوات السورية ٠

قوات الطرفين

أ ـ القوات الاسرائيلية

تضاربت التقديرات المحلية والاجنبية حول القوات الاسرائيلية التي اشتركت في الغزو ، ولكنها متقاربة من حيث موجود القوة العام الذي تراوح بين ١٢٥ ـ ١٥٠ الفا واشتركت جميع تشكيلات القوة الجوية ٦٣٤ طائرة ، ومعظم القوات البحرية ، ١٣٠٠ ـ ١٦٠٠ دبابة ، ١٣٠٠ ـ ١٦٠٠ ناقلة جنود مدرعة ٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ(٣) ·

ب ـ القوات الفلسطينية

بلغ مجموع القوات الفلسطينية من كافة التنظيمات ٢٤٥٠٠ مقاتل بالاسلحة الخفيفة ، بنادق رشاشات ، والاسلحة المضادة للدبابات وأسلحة فردية مقاومة للطائرات ومدافع هاون ، وبعض الدبابات ومدافع الميدان ·

كانت هذه القوات تتوزع حول المخيمات والمدن الرئيسية من الرشيدية جنوبي صور الى الدامور والناعمة وبيروت ، وكان عليها مواجهة عدوين : اسرائيل والقوات اللبنانية ومليشيات الكتائب من حوالي ٢٥ ألف مقاتل ولديهم حوالي ١٠٠ دبابة و١١٦ ناقلة جنود مدرعة و١١٤ هاون و٨٨ مدفع ميدان و١٠ طائرات مقاتلة(٤) ·

وكان عدد المقاتلين الفلسطينيين ٤٠٠٠ مقاتل في قطاع صور والنبطية ـ الريحان والبقاع الجنوبي ـ العرقوب ، منهم ٢٠٠٠ للمساندة المكنة ، ودفعت اسرائيل هذه القوة العاتية على المحاور الثلاثة الرئيسية : الساحلي والاوسط والشرقي في عملية اكتساح وعمليات انزال بحري الى الشمال من صيدا ، وقد وصف أحد المحللين الامريكيين هذه الحرب التي شنتها آلة حرب ذات امكانات هائلة وتديرها دولة ضد جماعة تمارس حرب العصابات ولا تشكل دولة انها كحرب « يشنها الجيش الالماني الهتلري ضد قبيلة من الهنود الحمر »(٥) ·

كانت اسرائيل على يقين انه لن تتحرك أي جبهة عربية ضدها أثناء عملية الغزو ، ولم يكن لمنظمة التحرير استراتيجية لمواجهة غزو اسرائيلي شامل على هذا المستوى ، وكانت الاستراتيجية الفلسطينية قبل الحرب دفاعية بوجه عام مع المحافظة على مبدأ

الدفاع التعرضي ومواصلة ضرب العدو كلما لاحت الفرصة ، وفي عملية غزو لبنان عام ١٩٧٨ اتبعت المنظمة اسلوب الدفاع المتحرك المرن وكان له تأثير على العدو وتقليل الخسائر في صفوف المقاتلين الفلسطينيين باتباع اسلوب (اضرب واهرب) ٠ أي ضرب العدو من الامام والخلف والاجناب في حرب عصابات تنتشر على مساحة واسعة، وتتحرك للعمل من موقع الى آخر بسرعة ، وبقيت سيطرت القوات الاسرائيلية على مفارق الطرق الرئيسية ٠

أما في غزو عام ١٩٨٢ فقد كان هناك بعض مراكز فلسطينية ثابتة مثل قلعة الشقيف وبعض الاسلحة الثقيلة المستعملة في الجيوش كالدبابات والمدفعية ، شكلت أهدافا للقوة الجوية الاسرائيلية وهجمات قوات الهليكوبتر والقوات المدرعة ، وقد اضطرت المنظمة الى امتلاك تلك الاسلحة الثقيلة لمجابهة أعداء الداخل الى جانب اسلوب حرب العصابات ٠

وقعت وطأة الحرب على الفلسطينيين وقواتهم ، والقوات السورية العاملة ضمن قوات الردع العربية ، والقوات الوطنية اللبنانية ٠ وتم لاسرائيل احتلال الجنوب اللبناني في حرب أطول مما توقعت ، وما تبع ذلك من اخراج منظمة التحرير من بيروت ومذابح صبرا وشاتيلا الى اخر ما حدث، وعندما انسحبت اسرائيل من لبنان كانت خسائرها في الارواح تقارب خسائر حرب حزيران التي خاضتها على ثلاث جبهات عربية فكانت ٧٠٠ ـ ٩٠٠ قتيل و٤٠٠٠ جريح ٠

الدروس

لم يكن غزو لبنان عام ١٩٨٢ مفاجئا سواء للمقاومة الفلسطينية أو الدول العربية ، ولم تكترث اسرائيل لمبدأ المفاجأة في الحرب ، حينما تكررت تهديدات المسئولين الاسرائيليين من مدنيين وعسكريين وبالرغم من ذلك فان التصور العام للحرب بني على أساس (الحرب الخاطفة السريعة الحاسمة) ، وهي احدى قواعد الاستراتيجية الاسرائيلية وعقيدتها القتالية ، والمفهوم العام للحرب الخاطفة يشمل : الاقتحام وقوة الصدمة والخرق العميق في خطوط العدو لضرب المؤخرة والقيادات لاحداث الارتباك ، وسرعة الحركة وعمليات التطويق بقوات مدرعة وآلية تحت مظلة

جوية ، لتحقيق الانهيار الاستراتيجي وحسم الموقف بسرعة قبل أن يعيد الخصم توازنه ويدفع قواته الاحتياطية لمواصلة القتال •

كان أهم عنصر في المواجهة مع القوات السورية التي دخلت المعركة في لبنان هو الحرب الالكترونية ومعداتها المتقدمة التي زودتها أمريكا لاسرائيل، وهي اعماء الرادارات والتشويش على منظومة الدفاع الجوي وتعطيل صواريخ ارض / جو عن العمل ، والجانب الذي يحقق ذلك في الساعات الاولى عند بدء الحرب يملك ميزات تفوق هائلة على خصمه ، والى جانب ذلك ظهر عنصر آخر هام في الحرب الجوية بين اسرائيل وسوريا ، حيث كان لدى اسرائيل اربع طائرات انذار مبكر من طراز (غرومان اي ـ ٢ سي هوك آي) ، وقد استعملت لادارة المعارك الجوية الكتروتيا ، بتوفير المعلومات عن الاهداف الجوية تتعلق بتحركات الطائرات السورية المعترضة من طراز ميغ ٢١ وميغ ٢٣ ، لمقاتلات الهجوم الارضي الاسرائيلية من طراز سكاي هوك وكفير •

وتحت هذه الظروف الصعبة كان الطيارون السوريون ينطلقون بطائراتهم لملاقات الاعداء بكل جسارة وهم يعرفون ان جميع الميزات بجانب عدوهم ، وكذلك قاتلت الوحدات المدرعة السورية ووحدات الصاعقة قتالا عنيدا بالمواجهة وفرضت على العدو خسائر كبيرة في الدروع ، تحت ظروف الموقف الجوي المتفوق في جانب اسرائيل •

كان أحد الدروس الهامة من هذه الحرب ، هو قرار سوريا بضرورة تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو ، وباشرت العمل فورا عن طريق الحصول على الاسلحة والمعدات المتقدمة ، ومضاعفة عدد القوات العاملة ، والاسراع في التنظيم والتدريب والجاهزية القتالية ، وحتى الان قطعت سوريا شوطا بعيدا للوصول الى التوازن المطلوب ، وهي أول دولة عربية تقوم بذلك بمفردها في عمر الصراع العربي الاسرائيلي •

تعرضت قوات الاحتلال الاسرائيلي والقوات المتعددة الجنسيات في لبنان الى عمليات انتحارية متواصلة وعمليات مقاومة لبنانية فلسطينية أخذت تسدد ضربات موجعة لتلك القوى وتفرض عليها خسائر جسيمة أذهلت المراقبين العسكريين مثل ضرب قوات المارينز الامريكية والقوات الفرنسية ومقر القيادة الاسرائيلية في مدينة

صور ، وما تبع ذلك من سلسلة عمليات انتحارية ضد القوات الاسرائيلية وقوات جيش جنوبي لبنان • وكانت النتيجة لذلك رحيل القوات المتعددة الجنسيات وانسحاب اسرائيل فيما بعد ، وهذا الدرس برهان على ان أمتنا لديها الابناء الذين يجودون بالنفس ويتسابقون الى مواطن التضحية والفداء ، كما يبرهن ذلك كيف ان الارادة القوية للشعوب التي لا تملك التسليح الحديث يمكنها قهر القدرات العسكرية للقوى الكبرى •

وان حرب العصابات الفلسطينية اللبنانية التي تقوم بتنفيذ عمليات باهرة بنجاح ضد اسرائيل تحمل دروسا ايجابية للمستقبل ، ولكن على الامة العربية دعمها ومساندتها وعدم تركها في الساحة للاقدار وغطرسة العدو والقوى المؤيدة له •

والعبرة الاخيرة هي : كيف وقعت الأمة العربية في حالة شلل تام أثناء هذه الحرب ، ألا تعتبر أن ما وقع على جنوبي لبنان يمكن أن يقع على أي من دول المواجهة وتقف وحيدة تواجه قدرها ، ولا تحصل حتى على تصريحات عاطفية من باقي أمة العرب ، وهذا منتهى التهديد للأمن القومي العربي بأكمله ، ان الحد الادنى من التنسيق العربي والحد الادنى من استراتيجية عربية لمجابهة أعمال العدو المقبلة هي بالتالي أحد أهم الدروس •

الهـــوامش

١ ـ الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة ، لبنان ١٩٨٢ (الجزء الأول) العميد الدكتور هيثم كيلاني ، عن القسم المنشور في مجلة شؤون عسكرية عدد حزيران/ يونيو ١٩٨٤ ، صفحة ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٢ ـ الاجتياح الاسرائيلي للبنـان ـ ١٩٨٢ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينيـة / ١٩٨٤ صفحة ٩١ .

٣ ـ نفس المصدر السابق صفحة ٨٨ ، والعميد الدكتور هيثم كيلاني مجلة شؤون عسكرية عدد حزيران / يونيو ١٩٨٤ صفحة ٨٩ .

٤ ـ العميد الدكتور هيثم كيلاني ، شؤون عسكرية عدد حزيران / يونيو ١٩٨٤ صفحة ١٠٠ .

٥ ـ الاجتياح الاسرائيلي للبنان ـ صفحة ٥٩ .

تم بعون الله تعالى

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

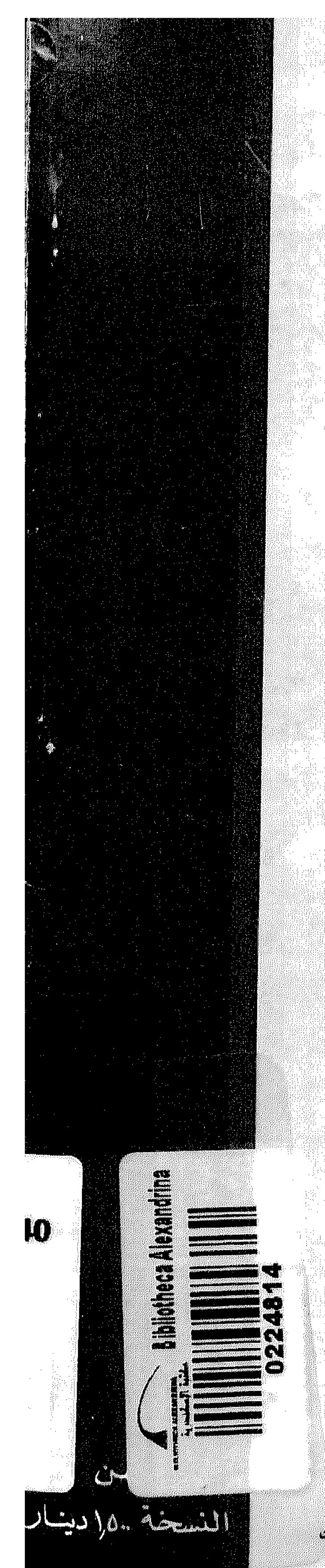
رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٧/١/٤٦٨

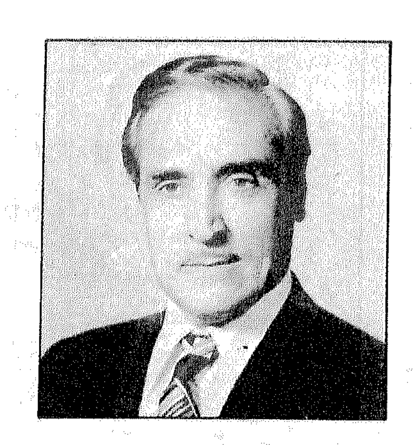
رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٧/١/٣٢









كتب للمؤلف

- معارك شمال افريقيا
- من اعلام تاريخنا العسكري
- معارك شمال غرب اوروبا
- حرب رمضان وتحطيم الاسطورة
- التحدي النووي في الشرق الاوسط
- الجيش العربي الاردني في حرب عام ١٩٤٨
- الجبهة الأردنية في حرب حزيران ١٩٦٧
- التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط
- الاستراتيجية النووية

المطابع التعاونية - عمان